عابر محيط

(1)

كان الظلام حالكا وهواء المحيط الأطلنطى شديد البرودة، وعابرة المحيطات العملاقة تشق طريقها وسط مياه المحيط فى ثقة وتحد فى طريقها إلى فيلادلفيا قادمة من جنوة الإيطالية وكانت الأمواج متوسطة القوة والرياح معتدلة لكنها شديدة البرودة.

كان معظم الضباط والبحارة فى صالة الطعام الرئيسية يحتفلون بليلة رأس السنة الميلادية بالرقص والأكل والشرب ما عدا تامر، فإنه لا يشرب. اطمأن تامر أن الجميع فى حالة سكر تام وخاصة كبير الضباط (باسيلى)، فقد شرب حتى الثمالة ومع ذلك لم ينس استفزاز تامر.

- تامر لماذا لا تشرب ؟ فإنها رأس السنة فعليك بالشراب حتى لو لمرة واحدة فى السنة.

- لا أشرب حتى لو لمرة واحدة فى العمر.

- هل تخاف الله ؟ إنه لن يراك فى الليل. كابتن باسيلى يقهقه ضاحكا.

نظر إليه تامر بامتعاض ولم يقل شيئًا.

ذهب تامر لقمرته وأخذ الجوال الذى أعده لمهمته فى هذه الليلة شديدة البرودة . فقد عقد العزم على أن يقذف بالفأر فى المحيط بعد أن يلبسه الجوال حتى لا يسمعه أحد إذا صرخ.

والفأر هو الاسم الذى أطلقه تامر على باسيلي بينه وبين نفسه. فقد كان كابتن باسيلى يشبه الفأر فمنخاره المدبب وجسمه الصغير وصوته الرفيع مثل صوت الفئران.

قرر تامر هذه الخطة بعد أن حاول الفأر أن يقتل تامر مرتين. فالعين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم.

وقد درس تامر خطته بعناية وأعد عدته بحذرشديد وسرية تامة . والخطة هى :

- فك السلاسل الموجودة فى فتحة سياج السفينة أمام السلم الذى يُستعمل فى الموانئ. وقد كان للسفينة فتحتان بسلاسل فى الجانب الأيمن والجانب الأيسر.

- الاختباء أسفل سلم قمرة الفأر وهى تقع على الجانب الأيسر.

- كان بين مكان اختباء تامر وفتحة السياج ثلاثة أمتار.

- عند عودة الفأر لقمرته ثملا من حفل رأس السنة سوف يلقى تامر الجوال على رأسه من الخلف ويدفع به من فتحة السياج إلى المحيط.

- لن يسمع أو يرى احد الفأر بسبب الظلام الحالك وصوت المحركات الصاخب لهذه السفينة العملاقة .

- لن يبقى الفأر على قيد الحياة أكثر من عدة دقائق فى المياه الشديدة البرودة، هذا إذا لم يلتهمه رفاص السفينة العملاقة.

- يعيد تامر السلاسل مكانها ويذهب للاحتفال مرة أخرى . حتى لا يشعر أحد بغيابه فالكل فى حالة سكر تام.

اختبأ تامر فى الظلام الحالك أسفل سلم قمرة باسيلى. يترقب وصوله. وكانت دقات قلبه سريعه صاخبة يكاد يسمعها رغم صوت المحركات العملاقة للسفينة وصوت ارتطام الأمواج فى مقدمة السفينة . كان جسمه يرتعش من الخوف والبرد القارس لكنه صمم على هذه الخطة فإن الفأر كان يخطط لتسليمه لبوليس فيلادلفيا بحجة...

(2)

أحكم تامر معطفه حماية لنفسه من هواء البحر شديد البرودة . ورغم أن تامرًا كان مختبئًا أسفل سلم قمرة باسيلى، إلا أن الهواء البارد المحمل برزاز مياه المحيط الباردة والمالحة كان يرتطم بوجه تامر كأنه حبات رملية دقيقة ترتطم يوجهه فتؤلمه بدون رحمة، رفع تامر ياقة المعطف لتغطى الجانب الأسفل من وجهه وسحب طاقيته الصوف على الجانب الأعلى من وجهه فكان وجهه كله مغطى عدا جزء صغير لعينه لكى يرى باسيلى والفتحة فى سياج السفينة التى سوف يدفعه فيها بعد أن يلبسه الجوال المعد لهذه الخطة الخطيرة.

راجع تامر خططته فى مخيلته للمرة الأخيرة فقد تدرب عليها بينه وبين نفسه لمدة ستة أسابيع . فعند رجوع باسيلى لقمرته مخمورا سوف يمشى بجانب سياج السفينة الأيسر ليكون قريبا من قمرته. وقد راقبه تامر لستة أسابيع وعرف أن هذا هو طريقه المفضل عند عودته بعد العشاء من صالة طعام الضباط يوميا . فعند بلوغ باسيلى لفتحة السياج وقبل أن ينتبه أنها غير مغلقة بالسلاسل سوف يخطو تامر من خلفه بهدوء تام بثلاث خطوات فقط ويلقى عليه الجوال ويدفعه من فتحة السياج إلى المحيط وهذا سوف يتم فى 30 ثانية.

سوف يعيد تامر السلاسل إلى مكانها ويذهب بعدها إلى الحفل الساهر.

وقد خطرت هذه الفكرة لتامر من عدة شهور عندما كانت السفينة فى نيواورليانز الامريكية. وحضر باسيلى أو الفأر كما يصفه تامر إلى صالة استراحة البحارة وهو يحمل جريدة يونانية وقرأ المانشيت الرئيسى.

اسمعوا : أربعة بحارة مصريين متوحشين يحملون قبطان السفينة العاملين بها ويلقونه فى مياه ميناء هيوستن الامريكية .

نظر الفأر إلى تامرمتحديا ساخرا مستفزًا.

نظر تامر بدوره إلى الفأر فى عينيه وابتسم ابتسامة شيطانية، فقد أُعْجب تامر بالخبر وقال فى نفسه إن الفأر ليس بحاجة لأربع بحارة، فإن بحارًا واحدًا يكفى.

نظر الفأر إلى تامر وقد اصفر وجهه وخرج قبل أن يكمل قراءة الخبر. وقد ندم على قراءة هذا المانشيت وبالذات أمام تامر.

ورغم برودة هواء المحيط القارسة بدأ تامر يشعر بالسخونة والقلق بسبب الانتظار فمن الممكن جدا أن ينام الفأر فى إحدى القمرات الخلفية مع أحد الضباط أو البحارة الآخرين، ولن يحتاج أن يمشى وهو ثمل على سطح السفينة وسط المحيط فى ليلة كهذه. وهذا هو القرار الصحيح لو خُيّر تامر بهذا. وبدأ تامر يراجع نفسه.

هل يرجع إلى مكان الحفلة ويبحث عن الفأر أو ينتظر بضعة دقائق أخرى ؟

بدأ تامر يشك فى نجاح خطته.

تامر لنفسه: ماذا أفعل ؟ هل أنسى هذه الخطة من أساسها وألغيها؟ هل أعمل خطة أخرى؟

وأثناء حيرة تامر فُتح باب صالة الطعام الرئيسية وتسرب الضوء منها.....

(3)

خرج اثنان من المحتفلين. وانكمش تامر فى مكانه زيادة فى التخفى وكذلك من الخوف من أن يراه أحد وينكشف أمره . تحفز تامر لتنفيذ مهمته التى عمل وخطط لها طويلاً.

لكن هذان الشخصان ظلا فى مكانهما يتحدثان ويدخنان السجائر، وقد تعرف تامر

على أصواتهما، فإن أحدهما ضابط ميكانيكى، والآخر بحار، وبعد عدة قائق مرت ثقيلة على تامر عاد الاثنان إلى الحفل الساهر.

قرر تامر أن يمكث مكانه لمدة نصف ساعة أخرى أو حتى يفقد احتماله للبرد. رغم نحافة تامر لكنه كان يتمتع بطول القامة وجسم رياضى قوى رشيق، وكان شديد البأس، قوى الإرادة قمحى اللون، ذا عيون سوداء كبيرة وشعر أسود غزير يغطى رأسه.

رجع تامر بأفكاره إلى عام سابق عندما التحق بالعمل بهذه السفينة العملاقة عابرة المحيطات بوظيفة نصف بحار، أو مساعد بحار بمرتب سبعون جنيهًا استرلينيًا. وقد دفع حوالى شهر مرتب للسمسارحامد السويسى فى ميناء بيرية اليونانى لكى يوفر له هذه الوظيفة. والجميل للذكرى أن السمسار أعاد له بعض المبلغ الذى أخذه منه لما رأى من تامر دماثة الخلق وحسن المعاملة.

سافر تامر بالطائرة من اليونان بصحبة ثلاثة بحارة يونانين إلى امستردام ليلتحق بالعمل بعابرة المحيطات هذه، وكانت السفينة فى عَمرة للإصلاح بالحوض الجاف بهولندا، وقد انبهر بحجمها وضخامتها وضخامة الحوض الجاف الذى يحتضنها، وهذا عندما أحضرهم وكيل الشركة من المطار.

تعرف تامر على القبطان والضباط والبحارة، وكانوا جميعا من اليونانين ولا يتحدثون غير اليونانية ما عدا القبطان وبعض الضباط الذين كانوا يتحدثوا الإنجليزية واليونانية.

لم يجد تامر أى صعوبة فى التعامل مع بقية الطاقم البحرى فإنه يعرف كفاية من الانجليزية التى تعلمها فى الدراسة واليونانية التى تعلمها من أسرته بالأسكندرية.

على مدى ستة شهور كان تامر هو البحار الوحيد الأجنبيى من أربعين بحارًا وضابطًا يونانيين يعملون على هذه السفينة العملاقة. وقد ترقى إلى رتبة بحار فى خلال ثلاثة شهور بمرتب تسعون جنيهًا استرلينيًا، وهذا بتوصية الشيف اؤفسر وموافقة القبطان السابقين .

وكان كل شئ يسير جيدا وفى صالح تامر حتى ...

(4)

على مدى ستة شهور كان تامر البحار الوحيد المصرى ضمن أربعين ضابطًا وبحارًا من اليونايين على ظهر السفينة العملاقة عابرة المحيطات والتى تسمى « بطلة الأطلنطى». هذه السفينة بها سبعة عنابر عملاقة لتحميل الغلال . أربعة منها وسط السفينة بين الموخرة التى بها قمرات البحارة والضباط، وصالة طعام كبيرة للبحارة وأخرى صغيرة للضباط، وبينهم المطبخ، وأسفل كل هذا غرفة عملاقة بها المحركات الرئيسية التى تدير الرفاص العملاق لكى يدفع السفينة للأمام . يلى الأربعة عنابر وفى وسط السفينة مبنى من ثلاثة أدوار. الدور الأرضى به مخزن بويات وبعض احتياجات السفينة من عدد وآلات والدور الثاني به سكن القبطان ومكتبه، كذلك سكن الشيف اؤفسر ومكتبه. والدور الأخير والثالث به غرفة القيادة الرئيسية والتى تطل على ثلاثة عنابر أخرى تليها المقدمة التى بها خطافان عملاقان يُستعملان عند الحاجة فى الانتظار خارج أي ميناء إذا لم يكن لها رصيف ترسو به. وكذلك تطل غرفة القيادة من الخلف على باقى السفينة الخلفى .

بعد ستة شهور من عمل تامر على السفينة وأثناء وجودها فى ميناء فالنسيا فى اسبانيا ترك السفينة بضعة بحارة لانتهاء مدة عقودهم وحضر للعمل بضعة بحارة جدد من اليونان، وكان بينهم محمد محمد سليم بحار مصرى من عزبة البرج بضواحى دمياط، وقد فرح تامر كثيرا بهذا التغير، فإن بإمكانه الآن التحدث بالعربية مع مصرى مثله.

وكان أول لقاء بين تامر ومحمد عندما أحضره أحد البحارة إلى قمرته وعرفه به على أنه بحار مصرى مثله.

رحب تامر بمحمد.

- حمد لله على السلامة.

- الله يسلمك.... بقالك قد إيه على السفينه يا تامر ؟ فوجئ تامر بسؤال محمد فى أول لقاء.

- ستة شهور.

- كيف أحوال الضباط وبقية البحارة اليونانيين معك ؟

استنتج تامر أن محمد يخاف الضباط واليونانيين.

- كل الضباط والبحارة فى منتهى التفاهم والتعاون والاحترام معى والحمد لله.

- هل كنت البحار المصرى الوحيد هنا لمدة ستة شهور ولم تخف؟

- أخاف من ايه ؟ العمر واحد والرب واحد وأحظى بحب واحترام مع البحارة اليونانيين. وهل كنت تعرف أنه يوجد بحارة مصريون قبل التعاقد للعمل على هذه السفينة؟

لم يجاوب محمد هذا السؤال لكن ظهر من ملامحه أنه كان يعلم بوجود بحار مصرى على ظهر السفينة.

استغرب تامر من أسئلة محمد المباشرة فى أول لقاء لهما لكنه لم يهتم بالأمر.

لاحظ تامر أن محمدًا يكبره كثيرا فى العمر، قد يكون عمره 45 عامًا، يعنى ضعف تامر. وأخبره محمد أنه عريس جديد .

قال تامر فى نفسه هذا المحمد حديث النعمة ولبس الحذاء على كبر.

يتظاهر محمد بالمعرفة والخبرة والثراء .وفى إحدى الليالى وبعد الانتهاء من العمل حضر محمد لاستراحة البحارة مرتديًا جلبابًا بلديًا فسخر منه البحارة وأطلقوا عليه محمد جلا بية. لم يهتم تامر بهذا كله وكان اهتمامه بأن محمدًا مصري مثله وهذا أهم شئ.

كل هذه الأفكار والذكريات تدور فى ذهن تامر أثناء اختبائه فى الظلام الحالك والبرودة الشديدة انتظارا للفأر لكى يقذفه فى اليم.

وكاد تامر يفقد الأمل فى قدوم الفأر...

وكادت يداه وقدماه تتجمد رغم القفازات والحذاء والملابس الثقيلة التى يرتديها .

تامر لنفسه: قد لا أقدر على تنفيذ مهمتى وأنا فى هذه الحالة... لكن ليلة رأس السنه هى مرة واحدة فى العام .. فعلى الاحتمال وبضعة دقائق وأنفذ الخطة أو أعود لقمرتى الدافئة.

فجأة فُتح باب صالة الطعام وخرج منها شخص يسير وهو يتمتم أو يغنى وقد تعرف عليه تامر من حجمه الصغير وصوته الرفيع إنه الشيف اؤفسر أو الفأر.... إنه قادم لحتفه ابن....

لكنه لا يسير بجانب سياج السفينه إنه يسير بجانب حائط العنابر وبعيدًا عن سياج السفينة بحوالى أربعة امتار.

تامر يتنفس بصعوبة بل تنفسه أصبح فحيحا مدويا أعلى من صوت الأمواج التى ترتطم بقوة بمقدمة السفينة وأعلى من صوت المحركات التى تزمجر وهى تدفع السفينة العملاقة لكى تشق طريقها فى المحيط الساكن المظلم المخيف.

قرر تامر أن ينفذ خطته بعد تعديل بسيط وهو أن يلقى الجوال على الفأر من خلفه ويحمله هذه الأمتار الأربعة ويلقيه من فتحة السياج،فإن الفأر لا يزيد وزنه عن خمسين أو ستين كيلو جرامًا.

تامر متحفز بعد أن فتح الجوال وأمسك به بيديه مستعدا لإلقائه على رأس الفأر من خلفه.

الفأر يقترب ببطئ شديد .

تامر لنفسه : الفأر قادم....قادم... ثمانى خطوات فقط باقية ويكون أمامى وتنتهى هذه الليلة الملعونة.

تسيل دموع تامر دافئة بطئية على وجنتيه.

تامر: هل هذه دموع الفرح أم الخوف أم البرد الشديد ؟ مهما كان نوع هذه الدموع فإن كل شئ سوف ينتهى فى ثوان..

فجأة فُتح باب صالة الطعام الرئيسية.

تجمد تامر فى مكانه.....

(5)

تجمد تامر فى مكانه عند سماع صوت محمد جلابية، وهذا الاسم الذى أطلقه البحارة اليونانيون على محمد محمد سليم وهو ينادى :

كابتن باسيلى ...كابتن باسيلى ... انتظرنى أنا قادم معك...

وقف الفأر يترنح... ثمانى خطوات فقط من مكان لقاء حتفه المحتوم...وقف الفأر فى انتظار محمد جلابية...

فكر تامر بسرعة فى هذا الوضع الجديد...وقرر أنه ليس فى مقدرته تنفيذ خطته هذه المرة مع وجود محمد جلابية.

لكنه قرر أن ينتظر حتى يخلد الفأر إلى النوم ويعود محمد جلابية إلى قمرته فى الجزء الخلفى من السفينة. لكى يضع السلاسل مكانها حتى لا يسقط أحد فى المحيط ثم يعود إلى قمرته الدافئة وغداً يفكر فى خطة جديدة .

طوق محمد جلابية الفأر وكان ثملاً هو الاخر بزراعه اليمنى وسارا سويا يغنيان بلغة عربية مضحكة.

بابورى رايخ ...بابورى جاى .... بابورى خمّل سكر شاى.

بابورى رايخ ....بابورى جاى..... بابورى خمّل سكر شاى.

نعم الفأر يتكلم العربية بطريقة الخواجات، فهو يونانى ولد بمحرم بك بالاسكندرية وعاش بها عيشة الأمراء حتى سن الثانية والعشرين، وكان يعمل مع أبيه الذى كان يملك حصة فى شركة كوتيريلا للسجائر، وبعد التأميمات توفي أبوه بأزمة قلبية حسرة على مدخرات عمره الذى أُخذت منه فى دقائق. وترك الفأر مصر هو وأمه وأخته . وقد عانوا أشد المعاناة فى اليونان بعد أن فقدوا ثروتهم بقرار التأميم. وأصبح كابتن باسيلى يكره مصر وكل ما هو مصرى، ما عدا محمد جلابية فإنه جاسوسه الوحيد على طاقم السفينة من بحارة وميكانيكية وضباط.

أنقذ محمد جلابية الفأر من موت أكيد وهو لا يعلم.

انتظر تامر حوالى ربع ساعة... وكاد يتجمد من شدة البرودة...فهو يرتعش وأسنانه ترتطم فى بعضها البعض، وكانت أصواتها تواكب ارتطام الأمواج فى مقدمة السفينة... بوم...دوش... بوم...دوش. وأسنان تامر تك توك....تك توك.

الخطة فشلت . والجو بارد . والسماء حالكة الظلام تتحد مع مياه المحيط العميقة المظلمة كأنهما جسد واحد لوحش عملاق أسود مخيف .

كل الناس فى السفينة وحول العالم يحتفلون بليلة رأس السنة ما عدا تامر الذى قضى الليلة فى انتظار الفأر وكاد يلقى حتفه متجمداً.

تامر لنفسه متألماً حزيناً كسيف البال : الجيات أكتر من الريحات يا فار الكلب !!!

تأكد تامر أن أحدًا لم يره، وكان الجميع نيامًا أو فى حفل رأس السنة مستمرين فى الرقص والأكل والشرب.

وضع تامر السلاسل مكانها فى فتحة سياج السفينة حتى لا يسقط أحد فى المحيط.

قرر تامر أن يرجع لقمرته مباشرةً ولا يذهب للحفل الساهر.

رجع تامر إلى قمرته فى مؤخرة السفينة لكنه استعمل الجانب الأيمن من السفينة، وسار بحذا العنابر الأربعة بعيدا عن سياج السفينة، وكان يمشى بسرعة قريبا جدا من حائط العنابر يكاد يحتضنها لكى يقى نفسه، من الرياح التى بدأت تقوى والمحملة بالرزاز المالح الشديد البرودة.

تامر لنفسه: كل هذا التخطيط والانتظار فى هذا الصقيع المميت ولم يتم المخطط بسبب محمد جلابية ولو الفأر عرف هذا...

لكن أحدًا لم ولن يعرف شيئًا عن هذه الخطة وهذه الليلة الملعونة.

اقترب تامر لقمرته ... وفجأة قابل كوستا الميكانيكى يخرج من غرفة المحركات التى تدور بهمة ونشاط لا ينقطع.

وحاول تامر أن يتكلم يا... يا... يا... لكنه غير قادر على الكلام، إن وجهه متجمد.

نظر إليه كوستا مستوضحا...

(6)

تجاهل تامر كوستا ودلف إلى قمرته مسرعاً.

تامر يرتعش من شدة البرودة. نظر تامر الى المرآة ليرى وجهه مغطى بمياه البحر المالحة المتجمدة.رغم أنه كان مغطى بياقة المعطف والطاقية الصوف لكن تسربت المياه المالحة خلالهما.

وجهه أبيض مثل الطباشير. تامر لا يستطيع فتح عينه اليمنى، فقد كانت مغطاة بمياه البحر المالحة المتجمدة. وبالكاد يرى بعينه اليسرى الشبه مقفولة.

شعر تامر بالدفء يتسرب تدريجيا إلى جسمه النحيل.

فتح تامر الصنبور على المياه الباردة وبدأ يغسل وجهه وعيناه بقليل من الماء. بلل تامر طرف فوطة بالمياه البارده وأخذ يمسح بها عينيه بحذر حتى لا تدخل المياه المالحة فى عينيه.

بدأ تامر يرى ما حوله فجلس على الكرسى وخلع حذاءه وتحسس قدميه فقد تجمدت مياه البحر التي تسربت إلى حذائه حول أصابع قدميه. خلع تامر الجوارب المتجمدة على قدميه وعند لمسها الأرض شعر كأن نارًا أمسكت بقدميه . رفع تامر قدميه من على الأرض بسرعة تجنبا لهذه الالآم المبرحة. خلع تامر معطفه والقاه على الأرض ووضع قدميه عليه.

خلع تامر ملابسه بسرعة وألقاها بغير انتظام فى كل مكان بالقمرة الصغيرة وأخذ فوطة وذهب إلى الحمام ليستحم بالماء الساخن. المياه كانت شبه ساخنة لكنها محتملة. القمرة تحتوي على سرير ومكتب صغير للكتابة وكرسى ودولاب صغير وحوض ومرآة وكنبة صغيرة، وكل البحارة والميكانيكيين والضباط لهم قمرات مثل قمرة تامر. ما عدا القبطان وكبير الضباط فإن قمرتيهما مزودتان بحمام صغير خاص.

ارتمى تامر على سريره ودخل تحت البطانية وهو يدلك جسمه حتى يعيد الدماء إلى جسمه البارد والمنهك.

وهو يتمتم : سأموت من البرد. سأموت من البرد. آرررررررررر.

راح تامر فى إغماءة طويلة وليس نومًا عميقًا. وكل بضعة دقائق ينتفض ويستيقظ فزعا فكأنه يرى محمد جلابية ومعه الفأر يمسكان بقدميه وذراعيه ويلقانه فى مياه المحيط الباردة.

نعم محمد جلابية قليل الأصل الذى ساعده تامركثيرا وبكل استطاعته.

ويتذكر تامر كيف ساعد محمد جلابية بكل استطاعته.

رايح فين يا تامر ؟

عندى وردية فى غرفة القيادة.

ممكن تعطينى مفتاح قمرتك لسماع أم كلثوم فى جهاز التسجيل ؟

تفضل .

محمد جلابية يكبر تامر بخمسة وعشرين عاما ويكبره كذلك حجما، لكن محمد جلابية دائما يطلب العمل مع تامر لأن تامر يقوم بعمله ومعظم عمل محمد.

كان تامر لا يهتم بهذه الأشياء التى يراها بسيطة ولا تستدعى أن يأخذها على محمد.

رجع تامر مرة إلى قمرته مبكرا من الورديه فوجد محمدًا يقرأ خطاباته التى تأتيه من أهله بالاسكندرية.

لم يهتم تامر بهذا الأمر فإن الخطابات ليس بها أسرار يخاف عليها. لكنه اعتبر هذا عملًا غير محترم من محمد جلابية

وعندما اشترى محمد جلابية جهاز تسجيل جديد طلب منه تامر أن يتفحصه فرفض محمد جلابية.

نظر تامر إلى محمد جلابيه، وتعجب: وفجأه انتبه من هو هذا الشخص؟ فبعد أكثر من ثلاثة شهور من استعمال كابينتي لسماع أم كلثوم وقراءة خطاباتي ومساعدتي له والآن يرفض أن يطلعني على جهاز التسجيل الجديد.

نعم هذا الشخص أنانى وصولى قليل الأصل فهلوى يتكلم ولا يعمل، يأخذ ولا يعطى.

قرر تامر أن يقاطع محمد جلابية.

فجأة استقيظ تامر من إغماءته ووجد نفسه فى سرير نظيف دافئ، فقرأ الفاتحة وراح فى نوم عميق فغدًا راحة، إذ هو أول أيام السنة الجديدة وتامر ليس فى جدول الورديات، فسوف ينام حتى الظهر وبعد أن يستيقظ من النوم سوف يفكر ماذا يفعل مع الفأر .

مرت ثوانى أو ساعات لا يعرفها تامر لكنه استيقظ مذعورًا ووجد أمامه ....

(7)

مرت ثوانى او ساعات لا يعرفها تامر لكنه استيقظ مذعورًا ووجد أمامه الفأر يقف وسط القمرة ينتفض من شدة الغضب ويصرخ فيه :

لماذا لم تحضر إلى وردية القيادة ؟

ليس لى وردية اليوم.

الفأر ينزع الغطاء من على تامر.

يجب عليك القيام الآن والذهاب لغرفة القيادة.

لن أذهب لغرفة القيادة لأننى غير مدرج بجدول الورديات.

لكنى أقول لك يجب أن تذهب للوردية الآن.

إننى لست مسئولًا عن أخطائك فى جدول الورديات ولن أذهب إلى أى مكان.

لم يهتم تامر بالفأر وأدار ظهره، واستمر فى النوم مع استمرار الفأر بالصياح.

وأثناء صياح الفأر حضر أحد البحارة وقال:

كابتن باسيلى لقد حضر البحار المسئول عن الوردية وقد كان متأخرا لبعض الوقت.

فجأة امتنع باسيلى عن الصياح وخرج من كابينة تامر يرتعد حنقاً وذلاً ويجر أذيال الهزيمة.

كان تامر مرهقًا بسبب الليلة الماضية، وغير قادر على العمل بالإضافة إلى أن هذا اليوم عطلة رسمية.

لكن باسيلى شعر بالهزيمة أمام تامر، وسوف يجد بقية البحارة فرصة للسخرية منه بعد هذا الخطأ وقد انتصر عليه تامر.

بعد ساعتين أو اكثر طُرق باب الكابينه بلطف.

ادخل

إنه عامل صالة الطعام وكان شابًا يونانيًا صغيرا كثير الابتسام قليل الكلام.

لقد أحضرت لك طعام الإفطار بما أنك لم تحضر لصالة الطعام هذا الصباح.

شكرا. وهل أحضرته بنفسك؟

لا.. وإنما كابتن باسيلى أمرنى بذلك.

شعر تامر بالخوف وعدم الاطئنان لهذه الخطوة من الفأر. إذ من الممكن أن يضع الفأر بعض السموم فى طعام تامر. وإذا مات تامر مسموما والسفينة فى عرض المحيط لن يهتم أو يعرف أحد بهذا. فإن أهله فى مصر وهو يعمل فى سفينة يونانية متجهة لأمريكا. فإذا تغيب عن أهله لن يعلموا أى شئ عنه إلا بعد شهور أو سنين. أو ربما لن يعلموا عنه أى شئ أبداً.

نظر تامر إلى الطعام ولم يلمسه. وقرر أن يذهب لصالة الطعام فى ميعاد الغداء ويأكل مع بقية البحارة فهذا أسلم له.

تقوس تامر على نفسه فى السرير الدافئ، فإن النوم والراحة بعد تعب البارحة أهم من أى إفطار أو غداء .

وعلى الرغم من صوت المحركات العملاقة فإنه أخلد إلى النوم العميق. فقد كانت ليلة أمس قاسية باردة، ومازال جسمه النحيل يرتعد من جراء تلك الليلة المرعبة.

استيقظ تامر قبل الواحدة بقليل، وذهب لصالة الطعام الرئيسة لتناول طعام الغداء، وجد تامر صالة الطعام شبه خالية إلا من بعض البحارة والميكانيكيين المسؤلين عن الورديات أثناء العطلة الرسمية . فقد كان معظم البحارة والضباط نيامًا بعد ليلة امس الصاخبة بالموسيقى والرقص والخمور . وقد كان تامر يحب العمل فى هذه العطلات لأن أجرها مضاعف، لكن اسمه لم يدرج فى الجدول للعمل هذه المرة.

توجه تامر بالحديث للحضور : عام سعيد للجميع.

عام سعيد تامر.

تناول تامر طعام الغداء وهو صامت لكنه يفكر لماذا ينظر إليه الحضور ضاحكين أو مبتسمين ؟

بعد الغداء ذهب الجميع لصالة التدخين ومعهم تامر.

تامر : لماذا كل هذا الضحك والغمز واللمز؟

لم يجاوبوا على سؤاله وإنما استمروا فى الضحك.

أحد البحارة ضاحكا وقد أمسك بذراع تامر: لقد عرف الجميع ماذا حدث هذا الصباح بينك وبين كابتن باسيلى الذى أصبح أضحوكة العام الجديد.

تامر يعرف أن الفأر مكروه من معظم البحارة.

إننى لم أخطئ بل هو المخطئ.... قال تامر مستطردا

إننا نعرف هذا ولذلك فإننا فخورون بك لتمسكك بحقك.

كابتن باسيلى يعتقد أنه فى سفينة حربية يونانية فيأمر ويطاع، وإنما هذه سفينة تجارية وتتبع قانون البحار الدولى .

توجه بحار آخر لتامر بالحديث وقال له : عليك ترك هذه السفينة فإن كابتن باسيلى مريض نفسيا، وأصبح العمل معه صعبًا وخطيرًا جدا. لذلك سوف أعود أنا إلى اليونان لبضعة شهور، وسوف أبحث عن سفينة أخرى للعمل عليها وأنصحك أن تفعل مثلى.

(8)

رجع تامر إلى قمرته مهموما وجلس على كرسيه وهو يفكر فى نصيحة البحار اليونانى.

هل يترك عمله فى هذه السفينة بسبب الفأر ؟

لن تسمح له الشركة بالعودة إلى اليونان إذا ترك عمله بالسفينة، فسوف يرجع إلى مصر مباشرة. ومن مصر عليه الحصول على تأشيرة جديدة لليونان والذهاب إلى بيرية للبحث عن سفينة أخرى لكى يعمل عليها، وهذا كله يأخذ وقتًا ومصاريف كبيرة بالنسبة له، وأن حالته غير حالة البحار اليونانى. فقرر أن يصبر على الفأر وتذكر مثل أمه الذى يقول :

اصبر على الجار السو ..يا يرحل.. أو تجيله مصيبة تاخده !!!

لقد أمضى عامًا فى العمل على هذه السفينة ويحتاج عامًا آخر فقط ليجمع مبلغًا ويعود إلى مصر، ويشترى سيارة أجرة يعمل عليها بالاضافة إلى وظيفته الحكومية المتواضعة. وهذا كل أمله من هذه الرحلة الخطيرة.

كانت الخطة تسير بنجاح حتى التحق بالعمل على السفينة محمد جلابية، قليل الأصل، والفأر المريض.

فعندما عانى محمد جلابية من شراسة كابتن باسيلى، ولكى يتقى شره قرر أن يكون جاسوسا له على البحارة، وبالذات على تامر ابن وطنه الذى ساعده كثيرا.

لكن تامرًا كان يعرف أنه فى وضع أحسن من محمد جلابية، فهو صغير السن وله وظيفة فى مصر، وحاصل على الثانوية العامة. حتى لو ترك السفينة الآن فإن شاء الله سوف يعوض صبره خير من أجل أمه وإخوته البنات. فقد توفى أبوه في الأسبوع الذي ظهر فيه نتيجة التنسيق، وتم قبول تامر بكلية علوم الاسكندرية. لكنه سحب أوراقه وانتسب لتجارة الاسكندرية، والتحق بالعمل فى وزارة حكومية بمساعدة بعض الأقارب، وتحمل المسئولية بمساعدة أمه فى تربية أخواته البنات الثلاثة، فقد أصبح رجل البيت

كما تقول أمه. لكن بعد مرور عامين على هذه الأحداث وجد تامر أن دخله بالإضافة إلى معاش أبيه لا يكفى حاجة الأسرة، هذا بالإضافة إلى أنه غير قادر على تكوين نفسه لكى يبدأ حياة خاصة به، فقرر السفر إلى اليونان ويجرب حظه كبحار فى البواخر اليونانية كما فعل صديقه ممدوح.

أخرج تامر رسائل أسرته ليعيد قراءتها فهو لا يملك أى كتب أو جرائد عربية لقراءتها . وكان من الصعب الحصول على الجرائد العربية فى الموانى التى يذهبون إليها . فكان تامر يقرأ خطابات أسرته، إذْ هي الشئ الوحيد الذى يعينه على مشقة الغربة والعمل فى هذه السفينة العملاقة.

هذا خطاب من أمه تقول فيه : أختك جالها عريس لكننا رفضناه على أساس أنها لا زالت فى الثانوية.

وخطاب ثانٍ من أخواته البنات يطلبن مصاريف للدروس الخصوصية.

وكان تامر يرسل إليهن ما يطلبنه كلما أتاحت له الظرف عن طيب خاطر وحب وإحساس بالمسؤلية نحوهن.

والغريب والعجيب أن ظروف تامر وظروف كابتن باسيلى متشابهة .فإن كابتن باسيلى مسؤل عن أمه وأخته بعد وفاة أبيه وفقدان ثروته فى مصر بسبب التأميمات. وإن كابتن باسيلى عليه أن يجمع مالًا كثيرًا لكى يعطيه لعريس أخته المنتظر كدوطة، فإن البنت فى اليونان يأتيها العريس حسب حجم الدوطة التى أعدها لها أبواها. لكن باسيلى كان يطمع فى كثير من المال حتى يصاهر عريسًا له اسم ومكانة اجتماعية، وأنه غير قادر على الاعتراف أنه فقد ثروة أبيه، ولهذا هو مريض نفسيا يكره كل ما حوله وبالذات مصر والمصريين.

ذهب تامر لتناول طعام العشاء لكنه وجد البحارة اليونانيين مجتمعين على محمد جلابية وهو يصرخ بالسباب والشتائم؟؟

(9)

كان الصراع الذى أشعله محمد جلابية مع تامر على أشده يذكيه الفأر بخبث ودالة، وقد أضاف إليه محمد جلابية من عنده أساليب كثيرة من الخداع والكذب والنميمة حتى يتقى شراسة كابتن باسيلى. فكان من بعض أساليبه أن يهزأ من حداثة سن تامر وقلة خبرته فى الحياة، ويتهمه دائما بعدم معرفته بعمله والحقيقة هي العكس، فإن تامرًا كان سريع التعلم وساعده صغر سنه وثقافته وسعة اطلاعه للإلمام بأشياء كثيرة لم يستطع محمد جلابية استيعابها. وكان تامر بالتالى يسخر من جهل محمد جلابية وغبائه وضحالة معلوماته وكبر كرشه وتقدم سنه.

وفى إحدى الليالى ذهب تامر لصالة طعام البحارة ليتناول طعام العشاء بعد يوم عمل شاق. فوجد محمد جلابية يصرخ ويسب وقد التف حوله مجموعة من البحارة اليونانيين يضحكون مستفسرين!

لم يمنع تامرًا فضوله من النظر فوق أكتاف البحارة ليرى ماذا حدث لمحمد جلابية.

محمد جلابية ممسك بصورتين الاولى له وعروسه وهما يرتديان ملابس الزفاف وتظهر عروسه أصغر منه سناً وحجماً. والصورة الثانية لزوجته وحدها وقد أصبحت أكبر منه سنًا وحجماً.

أحد البحارة : لقد أرسلت لها نقودًا كثيرة فاشترت بها جميعا طعامًا ولذلك انتفخت وأصبحت بلونه.

محمد جلابية ثائرا : لا لا لقد طلبت منها أن تأخذ بالها من وزنها لأن أمها سمينة.

بحار آخر : لا ترسل إليها نقودًا فتتضور جوعا وتفقد سمنتها...ها ...ها

بحار ثالث : أنت نفسك سمين ...فلماذا هى لا تكون سمينة ؟

محمد جلابية : أنا سوف أخسس نفسى.

بحار : لا تلومها فهى توفر لك مالا كثيرا، فأنتم المسلمون مسموح لكم بأربعة زوجات .فلديك زوجة بأربعة وعليك أن تشكرها لذلك.ها..ها.

بحار: محتمل جدا أن زوجتك لم تعرف أن تقرأ خطاباتك، وماذا تريد منها فعليك أن تستعين بتامر ليكتب لك خطابًا. ها ..ها..

انتبه محمد جلابية لوجود تامر فغادر صالة الطعام فورا وهو غاضب مع ضحك الجميع بما فيهم تامر.

كان يوما مشمساً جميلا والسماء زرقاء صافية ومياه البحر صافية وأمواجها رقيقة هادئة ترتطم بجسم السفينة العملاقة بحنان كأنها أم حنون تربت على ظهر طفلتها الصغيرة بلطف ومحبة. ومحركات السفينة العملاقة تزمجر فى مياه المحيط الساكنة. تحسها على إفساح الطريق.

ملأ تامر رئتيه بنفس عميق بهذا الهواء النقى المنعش، فغداً سوف تصل السفينة إلى ميناء فيلادلفيا الأمريكية، وأخيرا سوف يرى أناسًا غير البحارة الذين مل صحبتهم، ومبانى وشوارع غير المياه والسماء الذى ظل لا يرى غيرهما لمدة أربعة وعشرين يوما.

رئيس البحارة : محمد، عليك بطلاء العمود الأيمن بعد غرفة القيادة.

وتوجه بالحديث لتامر: عليك بطلاء العمود الأيسر.

ذهب تامر فوجد محمد جلابية متسلق العمود الأيسر وبدأ فى العمل. لم يهتم تامر، وتسلق العمود الأيمن وبدأ فى الطلاء. فإن عمل البحارة هو قيادة السفينة مع الضباط أثناء النوبة.

والنوبة تتكون من ضابط وبحار أو اثنين ومعهم القبطان يقومون بقيادة السفينة .

أما بقية البحارة فإذا لم يكن لديهم نوبة قيادة فإنهم يقومون بطلاء أجزاء السفينة التى طالها الصدأ بفعل مياه البحر. فالطلاءعمل أساسى للبحارة، لأن مياه البحر تزيد من صدأ السفينة الذى يأكل جسمها الحديدى ويقصر من عمرها.

رأى تامر الفأر يجرى مسعوراً صائحاً صارخاً.

تامر لنفسه : ياصباح يا كريم...يا فتاح يا عليم... ربنا يتوب علينا من هذا الهم والنكد الصباحى والمسائى !!

الفأر يصرخ : محمد ...محمد ...ماذا تفعل ؟

تامر لنفسه فى حبور : ليس أنا هذه المرة.

(10)

كابتن باسيلى يصرخ....

محمد . ماذا تفعل عندك ؟

محمد جلابية جالساً على السقالة الخشبية المربوطة بالحبال فى أعلى العامود الحديدى بطول رأسى عشرون مترا تقريبا : إننى أطلى العامود الأيمن كما قال لى رئيس البحارة .

الفأر : هذا ليس العامود الأيمن إنه العامود الأيسر.

محمد جلابية اكتشف أنه أخطأ فقال كاذبا : لقد وجدت تامرًا متسلقًا العامود الأيمن فتسلقت أنا العامود الأيسر.

أحد البحارة : لا تكذب يا محمد فقد حضرت أنت إلى هنا أولاً وتسلقت هذا العامود قبل أن يأتى تامر.

اكتسى وجه محمد جلابية خوفاً ، وعرف أنه فى مكان خطير فى وقت غير مناسب وربما يسقط على أرض السفينة الحديدية وتتكسر عظامه، أو يقتل فجمد فى مكانه وهو يرتعش .

الفأر : لا تتحرك يا محمد.

حضر رئيس البحارة ومعه بحاران آخران يحملان أحبالًا سميكة، وخطاطيف حديدية وتسلقوا السلالم الصغيرة التى بالعامود حتى الكوبري الصغير الذى يصل بين العامودين. وربطوا محمد جلابية جيدا حتى لا يسقط من على السقالة .وربطوا الأحبال فى الكوبري الحديدى الصغير بين العامودين. وأدلوا بمحمد جلابية مثل الدلو حتى وصل إلى أرض السفينة تقريباً لكن محمد جلابية قفز فجأة إلى الارض صارخا:

الحقونى.. رجلى اتكسرت.

جلس محمد جلابية على الأرض يبكى مثل الأطفال ويـتألم بسبب قدمه التى يدّعى أنها كُسرت والجميع ينظر إليه ضاحكاً متعجباً.

ذهب محمد جلابية إلى قمرته بمساعدة البحارة وهم يتهمونه بالتمثيل والتمارض.

رئيس البحارة: تامر عليك بدهان العامود الأيسر بعد انتهائك من العامود الأيمن.

تامر اختبر الحبال فى العامود الأيسر فوجد أن أحدها به قطع صغير لا يُرى من النظرة الاولى .

تامر لنفسه: هذه الحبال والسقالة كافية لكى أسقط أنا من ارتفاع عشرين مترا . لقد حفظني الله من أجل أمى وأخواتى. أحمدك وأشكرك يارب.

استبدل تامر الحبل المقطوع واستمر فى العمل.

وفجأة ظهر فى الأفق البعيد.....

(11)

وفجأة ظهر فى الأفق خط دقيق يميل إلى اللون الأخضر إنه ساحل القارة الأمريكية.

تامر يدق قلبه بالفرح والسعادة فغداً سوف تصل السفينة إلى فيلادلفيا وتصل الخطابات من مصر من الأهل والأحبة . ولم يشعر تامر بهذا الحب الفياض نحو وطنه مصر وأهله إلا فى الغربة وشعوره الموحش القاسى بالوحدة، وأنه سجين لغته وجنسه وعمله فى السفينة، والذى يراه ليل نهار هو السماء والبحر . ورغم أنه تغلب على عامل اللغة لكنه سوف يظل غريبا فى أى مكان يذهب إليه بعيدا عن أهله ومصر المحروسة.

قرر تامر أن يخلد إلى النوم بعد العشاء مباشرة حتى يستقيظ مبكراً ويرى ميناء فيلادلفيا قبل شروق الشمس.

استيقظ تامر حوالى الرابعة صباحاً . ارتدى ملابس العمل وعليها الجاكيت الوحيد الذى يملكه وهو ثقيل إلى حد ما كى يحميه من برودة هذا الصباح.

ذهب تامر إلى صالة الطعام ووجد بعض البحارة يشربون القهوة وقد استيقظوا مبكرين لنفس الغرض، وهو رؤية الساحل الأمريكى.

تامر صنع لنفسه فنجان قهوة كبيرًا بعد أن أضاف إليه بعض الحليب. فإن ميعاد الإفطار هو الساعة الثامنة صباحاً.

خرج تامر مع البحارة الآخرين وكل منهم يمسك بقهوته .

تامر: إنه منظر رائع خلاب.

كان هواء قليل البرودة يلفح وجه تامر وهو منتعش وسعيد برؤية هذا المنظر البديع.

كان الليل حالكاً ومياه المحيط سوداء مثل السماء، والسواحل بعيدة يتخللها أشرطة من أنوار الشوارع وأنوار بعض المبانى العملاقه كأنها نجوم تزين السماء المظلمة .

وتقترب السفينة من الميناء بتؤدة شيئاً فشيئاً.

رأى تامر مع الآخرين كشافات السيارت المسرعة فى اتجاهات مختلفة من الميناء، آحد البحارة : هولاء لديهم عمل مبكر ربما يكونوا فى انتظارنا.

رئيس البحارة : سوف نتناول طعام الإفطار مبكراً، فعلينا أن نكون على سطح السفينة قبل الثامنة صباحاً.

وأضاف : أنا وتامر وثلاثة بحارة آخرين وكابتن باسيلى سوف نذهب للمقدمة. وبحاران سوف يتوليان سلم الرصيف فى وسط السفينة الأيمن . وأربعة بحارة آخرون مع الضابط الثانى سوف يكونوا فى المؤخرة.

أحد البحارة مستفسرا : أين محمد جلابية ؟

رئيس البحارة متهكما غاضباً: محمد جلابية ذاهب للمستشفى عند وصولنا الميناء.

وأضاف : محمد جلابية دائما مريض عند حاجة العمل إليه، فله مهمة عمل أخرى يعرفها كابتن باسيلى.

بقية البحارة يضحكون.

بحار آخر هامسا: سوف أفعل هذا فى الميناء القادم .

(12)

عند اقتراب السفينة من الميناء حضر لنش صغير عليه قبطان الميناء الذى صعد إلى غرفة القيادة لكى يتولى قيادة السفينة داخل الميناء.

حضر ثلاث لنشات كبيرة قوية والتصقت بجانب السفينة الأيسر بمسافات متساوية تقريبا .

السفينة أوقفت محركاتها العملاقة. وأخذت اللنشات القوية فى دفع السفينة من الجانب الأيسر حتى وصلت السفينة إلى الرصيف من جهة جانبها الأيمن.

ألقى البحارة فى المقدمة والمؤخرة الحبال السميكة إلى رصيف الميناء، التقط عمال الرصيف الحبال وربطوا السفينة برصيف الميناء.

نظر تامر إلى رصيف الميناء ورأى سيارة إسعاف وضابط بوليس وبضعة أشخاص آخرين.

أول شخص تسلق سلم السفينة الأيمن كان ضابط البوليس الذى دخل إلى مكتب القبطان.

تامر يدق قلبه خوفا من أنه البوليس الذى هدد الفأر بتسليمه له عندما تشاجر مع أحد البحارة .

لكن تامرًا عرف من البحارة الآخرين أن البوليس الأمريكى ليس له سلطة فى السفينة اليونانية، وأن كابتن باسيلى قال ذلك لكى يرهب تامرًا.

وعرف تامرًا أن هذا ضابط الجوزات الذى يحصر عدد الموجودين على السفينة ومراجعة جوازاتهم. وكان الضابط يستقبل كل بحار منفردا وجهًا لوجه، لكى يعطى له تأشيرة مؤقته لزيارة الميناء وما حوله.

ذهب ضابط الجوازات لقمرة محمد جلابية .

محمد جلابية يصرخ ويبكى من الألم فأعطاه الضابط تأشيرة مؤقته.

وقف البحارة والميكانيكيون صفًا أمام مكتب القبطان لاستلام التأشيرة من ضابط الجوزات.

طلب عمال الإسعاف من القبطان المساعدة من بعض البحارة لحمل محمد جلابية حتى سيارتهم.

القبطان صائحا : أربعة بحارة من الذين حصلوا على التأشيرة عليهم مساعدة عمال الاسعاف.

ذهب أربعة بحارة إلى قمرة محمد جلابية للمساعدة وكان تامر واحدًا منهم.

تامر : سلامتك يا محمد إن شاء الله ترجع لنا بالسلامة.

محمد جلابية وقد فاجأه وجود تامر مع البحارة الذين سوف يحملونه للإسعاف. نظر محمد جلابية إلى تامر ولم يقل شيئا وكأنه يفكر ماذا يقول.

لاحظ تامر أن ملابس وجيوب محمد جلابية منتفخة.

وقد كانت المهمة صعبة جداً على البحارة وعمال الإسعاف أن يحملوا محمد جلابية ضخم الجثة من قمرته إلى سلم السفينة الضيق إلى رصيف الميناء إلى سيارة الإسعاف، ومحمد جلابية يصرخ من الألم .

أحد البحارة لمحمد جلابية : كفاية تمثيل ... بقية البحارة يضحكون وتامر يفكر فى كلام البحارة وصراخ وبكاء محمد جلابية.

وعندما استقر محمد جلابية داخل سيارة الإسعاف ولم يبق إلا تامر معه

نظرمحمد جلابية حوله وامتنع عن البكاء والتألم فجأة وأمسك بيد تامر وقال له.

اسمع يا تامر...

(13)

اسمع يا تامر، سيب المركب دى وابحث عن مركب تانية للعمل عليها.

واستطرد محمد جلابية قائلاً : حتموت قتيل أو تروح فى داهية لو فضلت على المركب دي.

سمع تامر صوت محرك سيارة الإسعاف يعمل فترك محمد جلابية على الفور، وذهبت سيارة الاسعاف وهى تولول بحملها الثمين وتطلق صفاراتها تنذر السيارات الأخرى لكى تفسح لها الطريق.

بقية البحارة ينظرون إلى موكب الإسعاف المدوى وهم يضحكون ويتندرون على محمد جلابية الذى هرب من العمل أمام الجميع ورغماً عن الجميع، وفى زفة اسكندرانى. ولسانه حاله يقول للجميع: موتوا بغيظكم واشربوا من المحيط الأطلنطى.

تامر يفكر فى كلام محمد جلابية وهو مرعوب ماذا يعنى أنك حتموت قتيل أو تروح فى داهية ؟

تامر محتاج 12 شهرًا آخرين كى يتمكن من شراء السيارة الأجرة التى يمنى نفسه بها.

ممكن عشرة شهور أخرى فقط : تامر لنفسه.

هل محمد جلابية يعرف أشياء عن السفينة خافية عن تامر ؟

تامر لنفسه : مهما كانت المخاطر فى هذه السفينة فإنى لن أتركها قبل عشرة شهور، والله معى من أجل أمى وأخواتي .

أنابيب ضخمة تدلّت من صوامع الغلال فى عنابر السفينة العميقة تضخ فيها الغلال بهمة ونشاط.

فى نهاية يوم العمل الثانى فى ميناء فيلادلفيا ذهب تامر إلى صالة الطعام ليتناول العشاء.

تامر يأكل صامتا

أحد البحارة لتامر : وحشك محمد جلابية ؟

لم يجاوب تامر، إنه يفكر فى كلام محمد جلابية المخيف والمرعب.

بحار آخر : لن يعود محمد جلابية للسفينة مرة اخرى . لقد ذهبت لقمرته ووجدتها خالية تماماً من كل أغراضه .

استنتج تامر انتفاخ ملابس وجيوب محمد جلابية. فالواضح أنه اخذ كل ما يملكه فى جيوبه وهى قليلة وارتدى كل ملابسه فى طبقات الواحدة على الاخرى.

بحار ثالث : محمد جلابية هرب من العمل فى السفينة وهرب من زوجاته الأربعة، ولو أنا مكانه كنت فعلت ذلك .

دخل مانولى البحار العملاق وهو يهمس للجميع : عندى خبر لكم بمليون دولار

(14)

دخل مانولى إلى استراحة البحارة بعد انتهائه من نوبة المراقبة وهو يهمس للجميع : عندى خبر لكم بمليون دولار.

تامر والبحارة الآخرون يتطلعون الى مانولى بشغف لمعرفة الخبر الثمين.

لم ينتظر مانولى لإجابة البحارة بل استطرد بفرح وسرور بالخبر: لقد اتصل وكيل الشركة بفيلادلفيا بالقبطان وأبلغه أن محمد جلابية هرب من المستشفى بعد الكشف عليه وقرر الطبيب أنه ليس به أى شئ يستحق العلاج، وأنه فى صحة جيدة بل إنه يتمارض وعليه الرجوع للسفينة فى الحال.

واستطرد مانولى ضاحكا : والآن محمد جلابية فى أمريكا طليقا هارباً من السفينة ومن البلونه زوجته.

مانولى : وخبر آخر يساوى أكتر من مليون دولار .

تامر ساخرا : مليون واحد لكل أخبارك !.

مانولى ضاحكاً : محمد جلابية اقترض من كابتن باسيلى 500 دولار لكى يرسلها لزوجته الحامل . والآن باسيلى يلطم وجهه ويستغرب كيف أن محمد جلابية استغفله بعد أن بكى شر البكاء، وأقسم بأن زوجته حامل ومحتاجه عملية . والآن محمد جلابية فى خبركان.

تامر فى نفسه : ومن أعمالكم سلط عليكم.

معظم البحارة فى انتعاش عند سماع هذه الأخبار السعيدة شماته فى كابتن باسيلى المعقد المفترى.

وأما تامر فإنه يفكر فى محمد جلابية وكلامه وكيف تمكن من استغفال الفأر !!

وماذا يعرف من أشياء خطيرةعن السفينة لا يعرفها تامر ؟

تامر فى حيرة من أمره وماذا يفعل ؟ لقد عقد العزم على أن يستمر فى العمل على السفينة لعشرة شهور بدلًا من عام كامل .

لكن كلام محمد جلابية جعله يعيش فى قلق وخوف من السفينة ومن الفأر.

- سامحك الله يامحمد، أنت مشاكل فى وجودك وفى غيابك...تامر فى نفسه.

اتجه الجميع لصالة الطعام لتناول الإفطار وكان كالعادة كورن فلكس بالحليب وبيض مقلى وتوست وزبدة ومربى وقهوة. وكان تامر يحب الكورن فلكس الذى يأتى مسكّر فى علب ملونه صغيرة ومعه لعب أطفال صغيرة الحجم جدا، وكان يجمع هذه اللعب البلاستيكية الصغيرة للاحتفاظ بها لأخواته الصغار. ومع أن الإفطار على السفينة أفضل من الإفطار الذى كانت تعده أمه له المكون من الفول المدمس فى المنزل وبيض الفراخ من سطح المنزل أيضاً والجبنة القريش، لكن تامرًا كان يفضله بما إنه بين أخواته ومع أمه.

فى نهاية يوم عمل شاق قرر تامر أن يخرج مع بعض البحارة زملائه لرؤية المدينة والتنزه بها.

تامر ومانولى وكوستا استقلوا تاكسى إلى وسط المدينة وارتادوا عدة حانات ليلية حتى شعر الجميع بالإرهاق، وقد شرب مانولى وكوستا بما فيه الكفاية من البيرة والخمور، وتامر يشرب كولا أو عصير برتقال مع ضحك وسخرية الجميع.

وكانت نزهة البحارة المفضلة وتقريبا الوحيدة هى ارتياد الحانات الليلية وبيوت الدعارة.

وفجأة اختفى كوستا ومانولى من جانب تامر الذى كان يجلس على البار معهما يحتسى عصير برتقال. وأتت فتاة شقراء جميلة مثل ممثلات السينما الأمريكية، لكنها صغيرة السن طويلة القامة ممشوقة البنية ذات نهدين مدببين كأنهما مدفعان على أهبة الاستعداد للانطلاق على أى أحد يعترضهما، وعيون زرقاء وشعر أحمر ملامحها رائعة هادئة مبتسمة، ووقفت بجانبه الأيسر والتصقت به، ووضعت يدها اليمنى على ركبته اليسرى.

الفتاة الشقراء الجميلة : اسمك ايه ؟

تامر وقد سرت السخونة بجسده وقال بارتباك : تامر

الفتاة بلهجة دلع أنثوى وإغراء : اسمى كالى. هل يمكن أن تشترى لى مشروبًا؟

(15)

التصقت الحسناء الشقراء بجانب تامر الأيسر، ووضعت يدها الرقيقة الجميلة على ركبته اليسرى وسحبتها على فخده إلى أعلى الركبه ببطئ وحنان وقالت بإغراء وأنوثة طاغية : عزيزى تامر هل يمكن أن تشترى لى مشروبًا ثانيًا ؟

تامر مرتبك ومتردد لكنه لبى رغبتها على مضض.

وقد أصبح تامر فى حالة يرثى لها من السخونه والحيرة، وبدأ العرق البارد يتصبب على وجهه، وفى كل أنحاء جسده، فهو يعرف ماذا تريد هذه الشيطانة الجميلة، فإنها

تريده الذهاب معها إلى موتيل لكى يقضى معها ليلة حمراء مقابل مبلغ كبير من المال، وهذا ليس فى خطته أو حساباته.

ومازالت الحسناء الشقراء تسحب يدها على ركبة تامر من أسفل إلى أعلى فى حركة بطيئة جنسية مغرية مصحوبة بأنوثة فوارة.

ابتعد تامر قليلاً عنها لكنها سحبته فجأة من يده وهو يتبعها شبه معترضاً لكنه فى الوقت نفسه سعيد بصحبة هذه الحسناء.

أجلسته الحسناء فى مكان مظلم من البار وجلست على ركبتيه وأحاطت عنقه بكلتا ذراعيها الرقيقتين النحيلتين .

وبدون أن يدرى تامر ماذا يفعل، أحاط خصرها النحيل بذراعيه، وضم جسدها إلى جسده بقوة وقبلها قبلة طويلة وضع فيها كل الحب و الأشواق والحنين إلى وطنه وأهله وأصدقائه الذين يفتقدهم ليل نهار.

فى منتصف اليوم التالى شهد البحارة تاكسى يحضر تامر ومانولى وكوستا إلى سلم السفينه. صعد الثلاثة على سلم السفينة بصحبة صراخ ولعنات كابتن باسيلى. مع عدم اهتمام الفريق الثلاثى المتأخر عن العمل.

ولأول مرة لم يغضب تامر من الفأر بل على العكس فإنه مسرور أنه فعل شيئًا يستحق غضب الفأر.

ذهب تامر إلى قمرته واستبدل ملابس النزهة بملابس العمل وأكمل اليوم عملا مع زملائه البحارة.

كان تامر يعمل وهو سعيد ولكنه كان يحسب كم أنفق من الدولارات في هذه الليلة التى لن ينساها ؟

اكتشف تامر أنه أنفق مبلغاً كبيراً جدًا فى تلك الليلة الحمراء لكنه قرر أن يتذكر جمالها وليس ثمنها.

بعد انتهاء يوم العمل ذهب تامر مع بقية البحارة لتناول طعام العشاء.

مجموعة من البحارة ملتفون على الحائط الأيمن من صالة الطعام يقرأون خطابًا مثبتًا بلوحة التعليمات.

مانولى موجه كلامه لتامر : كابتن باسيلى موجه خطاب شكر لك .

تامر منزعجًا مستفسرا : لا أصدق هذا ؟!!!

(16)

وجد تامر مجموعة من البحارة ملتفين على لائحة التعليمات. وعندما اقترب منهم افسحوا له مكانًا لكى يقرأ خطاب الفأر الذى كان موجهًا للثلاثى المتأخر عن العمل، والخطاب موقع من كابتن السفينة ليونيدس بمجازات المتأخرين خمسة عشر جنيهًا استرلينيًا لكل منهم واعتبر الجميع أن هذا جزاء فادح للتأخير عن العمل ثلاث ساعات.

حزن تامر لهذا العقاب القاسى والمبالغ فيه وشاركه الرأي معظم البحارة. والجميع اتفقوا على أن هذا العقاب وراءه كابتن باسيلى المعقد نفسيا بسبب ضآلة حجمه وسرسعة صوته.

بعد العشاء ذهب تامر إلى قمرته وألقى بنفسه على السرير، وأخلد إلى النوم وهو مرهق . لكن بعد دقائق طرق الباب وأطل منه مانولي يسأل تامرًا إذا كان يريد الذهاب معه والآخرين إلى الديسكو؟

رفض تامر واستمر فى النوم .

استيقظ تامرحوالى الثامنه مساء فذهب إلى استراحة البحارة ووجد بعضهم يحتسون القهوة ويتسامرون.

تامر صنع لنفسه فنجان قهوة تركى، لكن اليونانيين يسمونها قهوة جريكى ويغضبون جدا من كلمة قهوة تركى، لأن هذا يذكرهم بخمسمائة عام من الاحتلال العثماني كما يزعمون.

تامر يحتسى القهوة وهو يفكر.

أحد البحارة يسأل تامرًا وقد كان أكبر سناً وخبرة : هل قضيت ليلة جيدة بالأمس ؟

تامر مبتسماً : نعم فقد كانت ليلة لن أنساها ولن أنسى ثمنها كذلك.

الجميع ضاحكون.

كلنا حدث معنا هذا، المهم أن تعمل بجدية لتعويض خسارتك .

وأخذ البحارة يتسامرون بسرور بما فعله محمد جلابية فى كابتن باسيلى ويعتبرونه تصفية حساب لهم جميعا معه.

وكذلك يؤكدون أن من أهم أسباب هروب محمد جلابية هو البالونة زوجته التى من المحال أن تعثر عليه فى القارة الأمريكية.

تامر : فعِل محمد جلابية نصب وخسة، ورغم أنى لا أحب كابتن باسيلى لكنى لن أفعل هذا أبداً .

بحار يسأل تامرًا : هل سوف تخرج غدا بعد العمل ؟

تامر : لقد صرفت دولارات بما فيه الكفاية ولن أخرج مرة أخرى، وإننى أعرف أننا سوف نبحر فى خلال أيام إلى المكسيك وهناك ممكن أخرج لأن أسعارها أرخص من أمريكا.

تامر : تصبحوا على خير جميعا

بقية البحارة : تصبح على خير.

دلف تامر إلى قمرته واستلقى على سريره وهو يحسب كم صرف ليلة أمس بالإضافة إلى 15 جنيهًا إسترلينيًا جزاء التأخير.

لكنه كان سعيداً بسبب تلك الليلة الجميلة، وكم كانت (كالى) وهو اسم الشقراء رقيقة حنونة ملساء بيضاء ذات عيون زرقاء، وقرر أن يفكر فى المصاريف الباهظة فى الصباح.

وكان تامر يستعد للنوم عندما طرق أحدهم باب قمرته.

(17)

تامر : ادخل

دخل مانولى ومعه كوستا . مانولى بحار عملاق ذو شعر ذهبى ناعم طويل يصل لكتفيه، أما كوستا الميكانيكى فقد كان قصيرًا وشعره أسود قصير، وكان يطلق شاربه الأسود طويلاً ليستعيض به عن قصر قامته. دلف الثنائى السعيد إلى قمرة تامر ليزفونه بالخبر الخطير، وهو أن كالى الجميلة تسأل عنه بكل الحب والشوق واللهفة.

تامر: إنها لا تحبنى بل تحب نقودى وأنا لست على استعداد أن أصرف عليها دولارًا واحدًا بعد الذى أخذته منى.

مانولى : لكنها تسأل عنك بشغف.

كوستا: من كلامها استشف أنها لا تريد مزيدًا من الدولارات.

تامر : لا أصدق هذا، والآن عليكم مغادرة القمرة لأنى أريد النوم استعداداً للعمل غدا... تصبحوا على خير.

غادرمانولى وكوستا قمرة تامر آسفين، لأن تامرًا لم يصدق ما قالوه عن كالى الجميلة.

مرة أخرى رجع تامر إلى ذكريات الليلة الماضية، وتذكر كم كانت ليلة جميلة بعد العناء والوحدة للأيام الطويلة فى المحيط بين السماء والماء، والأيام التى تمر بطيئة أثناء رحلاته بالسفينة والذى يراه كل يوم هو مثل الذى سابقه أو الذى يليه، العمل ثم الأكل ثم النوم أو مشاهدة مياه المحيط التى لا نهاية لها، والسماء التى تطبق عليها كأنهما قطعة واحدة من الظلام المخيف بالليل أو الزرقة البديعة بالنهار، ورغم جمال هذا المشهد لكن تامرًا والبحارة كانوا يسأمون منه وينتظرون وصولهم ورؤيتهم أى مدينه فى أى مكان. فإن العمل على سفينة عابرة محيطات يونانية ليس سهلًا، فهو بالنسبة لتامر غربة مضاعفة، ووحدة متناهية، فإنه غريب عن بلده وأهله ولغته فى وسط محيط ليس له أول ولا آخر.

فى الليلة التالية طرق باب قمرة تامر بعجلة وطرقات سريعة متتالية أزعجت تامرًا.

تامر: ادخل

دخل مانولى الطويل و كوستا القصير وهما يطيران من الفرح والسعادة وقالا : تامر عندنا مفاجأة لك بمليون دولار.

تامر: لا أريد منكم أي مفاجآت فأنتما سكرانان، اتركاني فى حالى.

كوستا يضع أصابعه فى فمه ويطلق صفارة طويلة خليعة.

مانولى : سوف تصدق حالا أننا نحبك ونريد مصلحتك، وفتحا باب القمرة على مصراعيه.

نظر تامر إلى الباب وقال: هذه ليست مصلحتى وأنتما من أصدقاء السوء.

خرج الثنائى المشاغب وهما يضحكان ونظر تامر إلى المفاجأة السعيدة وقد بهت وجهه وتحشرجت الكلمات فى فمه.

(18)

المفاجأة التى وعد بها الثنائى السكير، والتى تساوى مليون دولار هى أنهما أحضرا كالى إلى قمرة تامر.

خرج مانولي وكوستا من قمرة تامر وهما يضحكان من السعادة والشماتة معا معتقدان أنهما عملا عملاً جليلاً لتامر صديقهما.

دخلت كالى قمرة تامر وعلى شفتيها ابتسامة عريضة فى عرض الأطلنطى، وأغلقت الباب خلف الثنائى السكير، ووقفت خلفه كأنها تتأكد من أن أحداً لن يفتحه أو يفر منه تامر، ويفسد عليها انتصارها بالحضور إلى قمرته.

نظر تامر إلى كالى ذات الشعر الأحمر المتموج والمرسل على ظهرها، ووجهها الأبيض ذي النمش الخفيف حول عينيها الزرقاوين. وكانت ترتدى فستانًا شديد الحمرة

مفتوحًا من الجانبين، يظهر جزءاً كبيراً من ساقيها المرمرية، ومفتوح فى أعلى صدرها الأبيض المدبب الذى ظهر جزء كبير منه.

تامر لنفسه : يالها من إنسانة جميلة تعمل عملًا غير جميل بالمرة .

كالى : تامر ماذا بك ؟ كأنك رأيت شيطاناً.

تامر وقد احمر وجهه وغرق جسده بالعرق، وبدأ قلبه يسرع فى ضرباته : نعم لقد رأيت شيطانة .

نظرت إليه كالى معترضة . فقال تامر مستطردا : شيطانة جميلة.

جلست كالى بجانب تامر على الأريكة الصغيرة التى بقمرته. وأحاطته بذراعها الأيمن ووضعت يدها برقة على ركبته اليسرى

وقالت بلهجة مثيرة : سوف أقضى الليلة معك فى هذه القمرة الصغيرة النظيفة البديعة .

تامر وهو منزعج : ليس معى أي نقود.

كالى : لم أطلب منك نقودًا!!.

تامر : لا أصدقك.

كالى تخلع ملابسها بحركات جنسية مثيرة .

تامر وقد نفد صبره : عليك الذهاب لقمرة كوستا أو مانولي، ليس معى أي نقود.

كالى وقد استلقت على سرير تامر وهى شبه عارية : أجرة التاكسى فقط كل ما أريده.

نظر إليها تامرمتسائلا ولم يكن قادرا على أن يمنع نفسه من النظر إليها وإلى جسدها البديع: كم أجرة التاكسى ؟

كالى بصوت خافت لكنه مثير: أربعمائة دولار فقط.

تامر منزعجاً : لماذا هل أنت ذاهبه إلى القاهرة ؟

كالى : كم معك ...إننى ممكن أن أعطيك تخفيضًا كبيرًا.

تامر يفكر فى أن يطردها من قمرته لكن معظم طاقم البحارة نيام وسوف يستيقظون مذعورين بسبب هذه الشيطانة، وكذلك ممكن أن يستغل الفأر هذه الحادثة ويطالب بطرد تامر من العمل على السفينة.

وأخيرا قال تامر : قلت لك إننى ليس معى أي نقود، وإننى سوف أنام مكانى هنا على هذه الأريكة الصغيرة، ولن أطردك من قمرتى لأن الوقت متأخر والظلام مخيف والميناء خطيرة فى هذا الوقت المتأخر من الليل.

(19)

لكن كالى لم تجب تامرًا فقد استغرقت فى النوم.

نظر تامر إلى كالى وهى نائمة وقد تملكته الحيرة والرغبة وشهوة عارمة وامتناع.

أحضر تامر ملاءة بيضاء وألقاها عليها . وقال فى نفسه : نوم الشيطانة راحة.

استلقى تامر على الأريكة التى كانت فى حجم كرسى كبير ووضع وسادة تحت رأسه.. ساقاه خارج الكرس، إن الأريكة لا تتسع إلا للنصف الأعلى من جسم تامر، وحاول أن ينام.

تامر يحاول أن ينام لكنه يفكر ماذا يفعل فى اليوم التالى مع القبطان، وكذا مع الفأر الشرير المعقد. لكن غداً هو يوم الاحد عطلة للبحارة كذلك عمال الشحن فى ميناء فيلادلفيا. وقرر أنه فى الصباح يأخذ كالى إلى قمرة مانولى ليأخذها خارج السفينة كما أحضرها. وراح تامر فى النوم عندما استقر على ما سيفعله غداً.

شعر تامر بيد باردة تلمس جبهته فاستيقظ مذعورًا ووجد أمامه كالى ملفوفة بالملاءة البيضاء.

كالى مخاطبة تامر فى همس :تامر سوف نتجمد فإن التدفئة المركزية لا تعمل فعليك الانتقال بجانبى لكى يسير الدفء فى جسدينا معا.

تامر يحاول أن يقول شيئًا لكنه أخفق بسبب برودة جسده المرتعش، لكن كالى عاجلته.

وقالت مقلدة لكنته متهكمة : اننى ليس معى أية نقود ها ها ها.

وبدون أن تسأل تامرًا فتحت الدولاب الصغير وأخذت قميص وبنطال تامر وارتدتهما، وكان شكلها مضحكًا ومع ذلك فهي جميلة فى جميع الأحوال.

رجعت كالى إلى السرير الصغير وأفسحت مكانًا وأشارت لتامر بإبهامها بالنوم بجانبها.

ذهب تامر إلى السرير بدون اعتراض فهو يريد الدفء فى أى مكان وحبذا فى سريره المغتصب من الشيطانة كالى .

دلف تامر أسفل البطانية بجانب كالى وهو يرتعش وأعطى لها ظهره، احتضنت كالى تامرًا من ظهره وكأنها تبتلع جسده فى جسدها الدافئ الأملس الجميل، وأحاطته بذراعها الأيمن وساقها اليسرى، أحس تامر بأنفاسها الدافئة فى ظهره وحرارة جسدها فى بقية جسده. فحاول أن ينام وهو دافئ فى أحضان الشيطان الجميل لكنه سمعها تهمس إليه.

(20)

تامر: هل نمت بهذه السرعة ؟

همس تامر : ليس بعد لكنه لاحظ ثقوبًا كثيرة فى أوردة ذراعها الأيسر من تعاطى

حقن المورفين، وقد شاهد ذراع مريم فخر الدين فى أحد أفلامها التى تعالج مشكلة الإدمان بنفس حالة ذراع كالى.

كالى مستطردة : كنت عازمة اليوم الذهاب لأمى وأخذها للكنيسة.

هل تذهبين للكنيسة كل يوم أحد ؟

فى معظم الأوقات مع أمى المتدينة

وهل أمك تعرف ماذا تعملين ؟

بالطبع لا. فإنها تعرف أنى أعمل فى مكتب محام، فأنا خريجة شئون قانونية، لكنى تركت الدراسة قبل أن أكون محامية وتفرغت لهذه المهنة، فإن نقودها أفضل وأسرع، فأنا محتاجه من 500 الى 1000 دولار يوميا لأجل حاجتى الطبية، قالت هذا وكأنه شئ عادى ومعروف لكل الناس .

تامر شعر بالدفء يسرى فى جسمه فذهب فى نوم عميق. وكالى مستمرة فى الهمس.

استيقظ تامر على جلبة فى قمرته.

كالى فى كامل زينتها وجمالها ومعها مانولى وكوستا ومعهم صينية إفطار كونتنتال وهو عبارة عن توست وعصير برتقال وقهوة .

كوستا لتامر وهو منفعل من السعادة : عليك تناول الإفطار بسرعة فسوف نذهب للكنيسة مع كالى وأمها.

تامر : إننى مسلم ولست مسيحيًا مثلكم.

كالى : لن يسألك أحد عن ديانتك فإننا نرحب بكل الناس من كل الأديان فى كنيستنا، ولن يهتم أحد إذا كنت مسلمًا أو غيره لكن إذا كنت مسيحيًا كاثوليكيًا فهذا غير مستحب فى كنيستنا البروتستانتينية.

تامر : أقول لك إننى مسلم ولا أستطيع دخول الكنيسة.

مانولي : لا تُعقد الأمور يا تامر المهم أن نخرج من السفينة، فإنه آخر يوم لنا فى فيلادلفيا وعليك الأنتظار في السيارة أثناء القداس في الكنيسة.

تامر : هل كابتن باسيلى يعلم بوجود كالى معكما؟

كوستا بخبث ومشاكسة : إنها معك أنت.

كالى مبتسمة : اطمئن يا تامر لا يوجد أي مشاكل مع كابتن باسيلى او كابتن ليونيدس، وقد رأيتهما هذا الصباح في الجناج الأمامى مع اثنتين من زميلاتى، وقد تأكدت أن كل شئ على مايرام بالنسبة لكم أنتم الثلاثة.

كوستا مستهزئا مستفسرا: زميلاتك في مكتب المحاماة ؟

كالى تجاهلت كوستا

تامر : أنتظروني فى صالة البحارة فسوف آخذ حمامًا سريعًا وأكون جاهزًا فى خلال ربع ساعة.

(21)

لم يستطع تامر أن يمنع فضوله وحب الاستطلاع أن يشاهد الكنيسة من الداخل، وماذا يفعل الأمريكان فى الكنيسة، وكيف تختلف الكنيسة فى أمريكا عن الكنيسة فى مصر، فهو يتذكر أنه دخل الكنيسة فى محرم بك وهو صغير مع زملائه المسيحيين والمسلمين، وقد كان سنه ثمانى سنوات لمشاهدة الكنيسة من الداخل فقط. وقد دخل الكنيسة مرة أخرى وهو شاب مع زميله نجيب نخلة وقد كانت كنيسة جميلة وجديدة فى اسبورتنج، وكان كل شئ يلمع وجديد فى الداخل والخارج فقط لحب الاستطلاع. هاتين المرتين لم يمكث أكثر من دقائق معدودات.

لكن هذه المرة مختلفة فقد تقدمت الفريق المتدين جداً جداً !!! السيدة الوقور ام كالى ووراءها كالى ويتبعهما البحارة الثلاثة. جلسوا الخمسة فى منتصف الكنيسة على أريكة خشبية طويلة تتسع لعشرين شخصًا أو أكثر بجانب رواد آخرين.

تامر ينظر الى البناء من الداخل والتصميمات الجميلة والنوافذ الزجاجية الملونة، والأضواء الموزعة بذكاء لكى تعطى المكان هدوءًا وسكينة، وكان يبدو عليه الارتباك وماذا عليه أن يفعل. لكن كوستا ومانولى كانا ينظران إلى النساء والبنات ويهمسان لبعضهما عن جمال الصغيرات منهن وقبح المسنات .

كالى بهمس وانفعال : اخرس يامانولى أنت وكوستا القصير الخبيث ولا تحرجانى مع أمى ورواد الكنيسة.

امتنع الثنائى المشاغب عن الهمس لكنهما مازالا يختلسان النظر والابتسام .

لم يهتم أحد بالثنائى المشاغب والجميع فى انتظار واعظ الكنيسة.

أحد الجالسين على يمين أم كالى أعطاها طبقًا نحاسيًا به نقود وشيكات فوضعت به شيكًا أعدته لهذا اليوم، وناولته لكالى التى وضعت به عشرة دولارات، وأعطته لتامر وقالت له : لا تضع أى شئ، لكن تامرًا وضع دولارين وناول الطبق لكوستا الذى بدوره ناوله لمانولى بدون أن يضع أي نقود. لكن مانولى لم يأخذ الطبق من كوستا حتى وضع دولارين وبعده مانولى وضع خسمة دولارات. واستمر الطبق يلف على الحاضرين لبضعة دقائق.

وبدأ الواعظ الذى كان يرتدى بدلة عادية لونها بنى غامق وقميصًا أبيض ورباطة عنق حمراء خطابه بالترحيب بالزوار الجدد وهم البحار المصرى تامر والبحارين اليونانيين مانولى وكوستا واتجهت بعض أنظار رواد الكنيسة إلى البحارة الثلاثة بالابتسام والترحيب الصامت . واستمر الواعظ فى خطبته التى لم يفهم منها البحارة إلا القليل .

عند خروج كالى وأمها ومعهما البحارة الثلاثة كان فى انتظارهم فى الخارج كثير من رواد الكنيسة بالسلام الجميل والترحيب الحار وعرض بعضهم أن يأخذ الجروب إلى الغداء . لكن كالى رفضت هذا بحجة العمل المتأخر فى مكتب المحاماة الذى عليها أن تنتهي منه حتى فى يوم الأحد مع غمز ولمز كوستا ومانولى.

ذهبت كالى وأمها وبقى البحارة الثلاثة فقرروا أن يتسكعوا فى وسط مدينة فيلاديلفيا حتى المساء.

فى الصباح الباكر أبحرت السفينة عابرة المحيطات الميناء متجهه إلى المكسيك.

تامر ينظر إلى المدينة من على بعد وقد امتلأ قلبه بالوحشة والشوق لكالى الشيطان الجميل.

(22)

اتجهت السفينة جنوبا نحو المسكيك، ويدأ تامر يشعر بطقس جميل معتدل غير الذى تركه فى فيلادلفيا الذى كان بارداً إلى حد ما رغم أنه فى بداية فصل الربيع . أخذت الرحلة حوالى ستة أيام ، وكانت رحلة قصيرة جداً بالنسبة للرحلات السابقة إلى اليابان من أمريكا التى تستغرق خمسة وثلاثين يومًا، أومن أمريكا إلى أوروبا التى تستغرق خمسة وعشرين يوما، وكل الذى يراه تامر وبقية البحارة سماء متلاحمة مع مياه المحيط يومًا بعد يوم . لكن هذه الرحلة استمتع فيها تامر بالطقس البديع ومناظر البحر الخلابة وسمائها الزرقاء الصافية بالنهار، ونجومها اللامعة بالليل.كذلك استمتع مع بقية البحارة بالشعور بأن الرحلة قصيرة وأنهم قريبا سوف يشاهدون المنياء ويخرجون للتنزه فى المدينة.

تامر فى وقت فراغة يقرأ خطابات الأهل وكتب عدة خطابات ليرسلها لهم عند وصوله إلى المكسيك. حسب تامر كم من الأيام بقيت له من المدة فى هذه السفينة فوجدها 290 يوماً أي تسعة أشهر ونصف الشهر. فخطط جدولًا تنازليًا وكل يوم يمضى يشطب عليه.

وصلت السفينة إلى وجهتها فى الصباح الباكر، إلى ميناء تامبيكو بالجنوب الشرقى للمكسيك، والذى يقع على خليج المكسيك. وكان فى انتظارها على رصيف الميناء عمال وعربات نقل كثيرة . فإن التفريغ فى تلك الأيام بهذه الميناء كان يتم بالرافعات والمعاول والشباك المغطاة بالأقمشة السميكة التى تملأ بالغلال وتُنقل إلى سيارات النقل التى تنتظر على رصيف الميناء، وهذا استغرق حوالى أسبوعين، وكان

العمال يعملون بنشاط وهمة متناهية حازت إعجاب تامر . وقد لاحظ تامر أن وقت شحن أو تفريغ السفينة يختلف فى سرعته حسب تقدم البلد أو تأخرها، فإن تفريع السفينة فى هذا الميناء الجانبى فى المكسيك يستغرق أكثرمن أسبوعين، ولكن فى هولندا الأوربية يستغرق ثماني ساعات، لأنه يتم بالشفط الميكانكى إلى الصوامع على رصيف الميناء، أما شحنها فى فيلادلفيا يسغرق أربعة أو خمسة أيام، وفى نيواورليانز الأمريكية فيستغرق يومين بنفس الطريقة الميكانيكية.

وجود السفينة بالميناء له عامل جميل وهو أن يخرج البحارة يوميا للنزهة، ولكن يوجد عامل سئ كذلك وهو نفاد نقودهم سريعا على هذه النزهات. كان تامر يخرج يوميا بعد الانتهاء من العمل مع بقية البحارة للتنزه فى المدينة خارج الميناء. واكتشف تامر أنه يوجد بعض المحلات الفاخرة يمتلكها لبنانيون وسوريون وفى أحد المرات ذهب لشراء بعض الملابس القطنية التى تلائم الجو الحار فالبائع قال له ان هذه الملابس مصنوعة من أفخر قطن فى العالم وهو القطن المصرى، وقد شعر تامر بالفخر أن القطن المصرى محترم ومحبوب فى بقاع بعيدة جداً عن مصر مثل المكسيك.

تعرف تامر على بحارة مصريين يعملون فى سفينة أخرى بالميناء، وأحدهم قال إنه من الاسكندرية، وأنه كان يعمل فى مصنع الكتان القريب من منزل تامر بسيدى بشر، وظل هذا المصرى يلح على تامر أن يحمل له نقوداً لكى يرسلها لأهله بالإسكندرية، لكن رفض تامر رفضا باتاً، فقد تعلم فى بداية حياته فى الغربة أن لا يرسل أى شئ مع أى أحد إلى بلده بعد أن وثق مرة بأحد المصريين الذى أعطاه تامر بعض الهدايا ليصلها لأخواته ولم يقم ذاك المصرى بإيصالها لأهله كما وعد. لكن هذا المصرى لم يفقد الأمل فسأل تامرًا: وهل تحتفظ بمرتبك فى جيبك أو قمرتك طوال الوقت ؟

فرد عليه تامر : بالطبع لا فإنى آخذ مصروفى الشخصى وبقية مرتبى أرسله بطريق إدارة الشركة باليونان إلى البنك الوطنى فى فيلادلفيا الذى فتحت به حسابًا فى بداية عملى على هذه السفينة.

نظر إليه البحار المصرى وهو غير مصدق وقد فقد الأمل فى أن يحصل على أي نقود من تامر.

(23)

فى مساء يوم ربيعى جميل فى ميناء تامبيكو المكسيكية حضر مانولى الطويل وكوستا القصير وقالا لتامر: عليك بالإسراع للخروج معنا فقد عرفنا أماكن بأسعار معتدلة.

أجاب تامر : لا معتدلة ولا غيرها فإنى أوفر نقودى لكى أرجع إلى بلدى وأهلى وأن هذه المغامرات محرمة علي فى دينى.

كوستا : لا تتعامل مع النساء فممكن أن تجلس فى المقهى فقط.

تامر : وهذا ما سوف أفعله.

جلس كوستا بجانب سائق التاكسى وقال له اسم المكان، وتامر يسأل السائق كم سوف تتكلف هذه الرحلة قبل أن يستقل التاكسى. فعادة البحارة يُسرقون فى الموانى التى يذهبون إليها ولا يوجد فرق إذا كانت الدولة غنية أو فقيرة، فإن البحار او السائح عرضة للنصب والسرقة فى أى ميناء أو بلد فى العالم .

المكان عشش متلاصقة من الخشب والحديد. دخل البحارة الثلاثة يتقدمهم كوستا إلى إحدى هذه العشش، وجلسوا على احدى الموائد. حضرت بنت صغيرة لا يزيد عمرها عن عشر سنوات، فقام معها كوستا واختفى . وحضرت بنت أخرى حوالى خمسة عشر عاما وقام معها مانولى واختفى. وعرف تامر أن الفتيات فى هذا المكان قد باعهن أهاليهن أو مخطوفين من أهاليهن وبيعن للعمل فى الدعارة بسبب الفقر المدقع فى المكسيك أو بسبب الحروب الأهلية فى بلادهن القريبة من المكسيك. حمد الله تامر أن مصر حماها الله من ذلك.

شعر تامر بالضيق فى هذا المكان الحقير، فخرج منه ووجد التاكسى فى انتظار البحارة الثلاث. استقل تامر التاكسى وطلب منه أن يأخذه لقهوة محترمة. والقهاوى هنا مثل مصر تقريبا، بما أن المناخ مثلها أيضاً، فقد كانت الكراسى والموائد تفرش خارج المحلات بعكس شمال أوروبا أو شمال أمريكا فإن كل شئ بالداخل لبرودة الطقس معظم أيام السنة.

وجد تامر اثنين من البحارة زملائه فجلس معهما وطلب شابًا بالحليب، وجلس يستمتع بجو المكسيك الجميل، وأخذ يراقب أهالى المكسيك، ففيهم شبه كبير من المصريين، وكثير من الرجال ذوو شوارب سوداء كثيفة.

وكان بجوار تامر مائدة بها شابان وفتاة فى حوالى العشرين من عمرها، تشبه الأوروبيات تعرف عليهم تامر وعرّفهم بنفسه وزملائه. وبعد بضعة دقائق ذهب الشابان المكسيكيان وبقيت الفتاة وحدها، انتقل تامر إلى المائدة المجاورة وجلس مع الفتاة بعد أن أخذ موافقتها.

مارجريتا : هل أنت كابتن بالسفينة ؟

تامر : إننى بحار فقط.

مارجريتا : أين تعيش أسرتك فى أمريكا؟

تامر : إننى مصرى وأسرتى تعيش فى مصر.

مارجريتا : لكنك قلت إن السفينة قادمة من فيلادليفا وسوف ترجع إلى أمريكا .

تامر فى نفسه ماذا تعنى مارجريتا بهذه الأسئلة؟ هل تعتقد أننى امريكى ؟

مارجريتا مستمرة فى أسئلتها وتخميناتها : آه لقد فهمت ... أنت مصرى وتعيش فى أمريكا. أمنيتى أن أذهب إلى أمريكا وأعيش بها.لقد حاول أحد أقاربى الذهاب إلى أمريكا عن طريق قوارب البحر ومات غرقا مع كثير من أبناء قريته.

تامر فى نفسه : مرجريتا مصممة على أنى أمريكى . أما حوادث الموت غرقا فهى ليست موجودة بمصر والحمد لله.

مارجريتا : هل تحب الذهاب والرقص فى ديسكو؟

تامر : أحب ذلك كثيراً.

سار تامر وقد تأبطت مرجريتا زراعه بسعادة، وكان تامر سعيدًا بصحبة هذه الفتاة الجميلة الوديعة.

توقفت مرجريتا أمام أحد معارض الثلاجات.

مرجريتا : أمى تعمل فى هذا المعرض، فادخل معى لتتعرف عليك ونستأذنها للذهاب للديسكو.

تامر : بكل سرور.

قضى تامر ومرجريتا سهرة ممتعة بين الرقص والبهجة والمتعة، وذهب معها يودعها إلى منزلها القريب، وقبل أن يصلا إلى منزلها بقليل وقفت مرجريتا فجأة فاحتضنها تامر ولم تمانع، فقبلها قبلة حارة طويلة وبادلته مرجريتا القبلة بنفس الحرارة، وذهب تامر آسفا حزينا إلى سفينته على أن يلتقيا فى اليوم التالى.

(24)

نظر تامر إلى المنبه الذى بجانبه ... إنها الخامسة صباحا...ياصباح ..ياكريم... يافتاح ... ياعليم ...ضجه فظيعة وصياح وكلكسات وأصوات الرافعات المدوية... ذى ذى ذى بمب بمب.... ذى ذى ذى بمب بمب . لقد بدأ التفريغ اليوم مبكرا . ففي الأيام الماضية كان يبدأ فى الثامنة صباحا . وبينما تامر يتقلب فى فراشه طرق باب قمرته رئيس البحارة يطلب منه أن يكون على سطح السفينة فى السادسة صباحا. ارتدى تامر ملابس العمل مسرعا وذهب لصالة طعام البحارة لوجبة الإفطار، ووجد معظم البحارة والميكانيكيين يتنالون الافطار .

رئيس البحارة : لقد قررت شركة الشحن والتفريغ المكسيكية أن تنتهى اليوم من تفريغ السفينة كاملة، وبالتالى علينا إعداد السفينة للإقلاع اليوم أيضا.

أحد البحارة : أى وقت سوف نغادر الميناء؟

رئيس البحارة : حوالى الخامسة مساء.

بحار آخر : أنا عندى ميعاد مع صديقتى فى السادسة مساء.

رئيس البحارة مستهزءا : اذهب لميعاد صديقتك وبعدها اذهب لأمك فى اليونان بالطائرة على نفقتها.

شعر تامر بخيبة الأمل، فلن يرى مارجريتا هذا المساء، ولن يتمكن من وداعها لآخر مرة، ومحتمل جدا أن تعتقد مرجريتا أنه يعرف ميعاد إبحار السفينة ولم يخبرها . شعر بحزن عميق فإن معظم الموانئ التى ذهب إليها لم يصادق بها أحدًا، وأن الموانئ القليلة التى صادق بها فتيات لم يتمكن من وداعهن قبل الرحيل.

عمال التفريغ المكسيكون يعملون بهمّه ونشاط منقطع النظير، وقد تضاعف عددهم تقريباً وتضاعف عدد سيارات النقل على رصيف الميناء أيضاً. تامر وبقية البحارة يعملون بسرعة ونشاط لإعداد السفينة للإبحار هذا المساء. فكانوا ينظفون الأماكن القريبة من الماء فى الجانب الأيسر والمصابة بالصدأ ويطلونها بلون السفينة الأزرق، ويطلون الشريط الأبيض الذى يتخلل الربع الأعلى من السفينة.

حوالى الخامسة مساء ذلك اليوم، خمدت أصوات الرافعات والعمال وسيارات النقل وكأن كل شئ فى الميناء قد امتنع عن التنفس. خيم الهدوء التام على الميناء لكنه هدوء حزين استعدادًا للحظة الفراق .

وفجأة إنطلقت أصوات محركات السفينة العملاقة تمزمجر معلنة عن نفسها بالقيام بمهمة الرحيل. وبدأت السفينة تبتعد عن الرصيف رويدًا رويدًا، وأطلقت السفينة العملاقة أبواقها لتعلن عن رحيلها، فاهتزت ميناء وبلدة تامبيكو كلها لرحيل السفينة العملاقة وطاقمها الشباب من البحارة الأشداء. وكان بعض الأهالى قد تجمعوا على رصيف الميناء والشاطئ الذى بجانبه يلوحون للبحارة، وكان بعض البحارة يلوحون لهم أثناء عملهم إذا أمكنهم ذلك. أما تامر فقد كان مشغولًا هو ومانولى بجمع الحبال الضخمة التى كانت تربط السفينة برصيف المنياء. وابتعدت السفينة مئات الأمتار عن الميناء.

نظر تامر إلى الرصيف مرة أخيرة وخيل إليه أنه يرى مارجريتا الرقيقة فلوّح لها بكلتا ذراعيه يودعها وشعر بدموع دافئة تنحدر على خده.

(25)

انتهى البحارة من العمل فى هذا اليوم الحافل والشاق، وذهبوا لصالة طعام البحارة لتناول العشاء، فطلب منهم رئيس البحارة أن يعودوا للعمل بعد الأكل، وسوف يعملون لمدة ساعتين، إضافية، وسوف يحصلون على عشرة جنهيات استرلينية لهذا العمل الإضافى . الجميع كان مسروراً لهذه المنحة الإضافية، والتى لم تكن فى الحسبنان ولكنها أتت فى وقتها، بما أن معظمهم صرف نقوده فى المكسيك. شعر تامر بالسعادة لهذه المنحة الصغيرة التى تساوي ثلاثة أيام عمل عادية.

معظم البحارة ذهبوا إلى النوم مباشرة وبدون حمام لشدة الإرهاق. لكن تامرًا ورغم إرهاقه الشديد أخذ حمامًا سريعًا لأنه كان على موعد قبل النوم مع قراءة خطابات الأهل التى استلمها قبل إقلاع السفينة بساعات، وقد شعر تامر أنه يجب أن يكون فى حالة نفسية وصحية جيدة عندما يقرأ خطابات الأهل. وقبل أن يبدأ القراءة شطب على اليوم 275 فى جدوله التنازلى، وباقى فى المدة التى حددها لنفسه 274 يومًا.

هما خطابان، وفى الخطاب الأول أمه تعرّفه أنهم بخير وعليه أن يأخذ باله من نفسه وصحته ويتأكد من أنه مُغطى أثناء النوم، وتذكّر تامر أن أمه كانت تستيقظ فى نصف الليل وتسحب عليه الغطاء الذى كان يرفصه دائما أثناء النوم. كذلك تطلب مائة جنيه لشراء ملابس جديدة لأخواته. والخطاب الثاني به نفس الكلام معتقدين أن الخطاب الاول لم يصله. استغرق تامر فى النوم العميق فى أثناء قراءة الخطاب الثانى، ونام كأنه لم ينم من شهر.

عمل البحارة بنشاط وهمة لإعداد السفينة للشحنة الجديدة، وبعد يومين رست السفينة بميناء نيواورليانز الأمريكية. وكان فى انتظار السفينة مفتشو صحة الميناء ووكلاء شركات الشحن والتفريغ وتموين السفينة من طعام وشراب ووقود بالإضافة إلى ضابط الجوازات.

أعطى ضابط الجوازات تصاريح مرور لكل من على السفينة ما عدا تامر، واستفسر تامر عن السبب لعدم أخذ تصريح المرور فى الميناء.

ضابط الجوازات : أنتم تقتلون الأمريكان فى بلادكم.

تامر : لم يُقتل أمريكى فى مصر.

ضابط الجوازات : لقد قتل الفلسطينيون سفير أمريكا فى الخرطوم.

تامر : إننى مصرى ولست سودانيًا أو فلسطينيًا.

ضابط الجوازات : كلكم عرب وطينة واحدة . وواجبى حماية أمريكا من أمثالكم.

تامر فى نفسه لم أقابل شخصية عنصرية مثل ذلك الشخص من قبل، وقد أتيت أمريكا مرات كثيرة، ولم يحدث معى شئ مثل ذلك من قبل. وكيف سوف أرسل نقودًا لأهلى وأنا ممنوع من الخروج من هذه السفينة ؟؟؟

(26)

المكسيك كانت من أجمل الرحلات بالنسبة لتامر، فكان يعمل ويخرج مع بقية البحارة للنزهة تقريبا يوميا، وقد اختفى الفأر معظم الوقت فى مكتبه، وكان البحارة يتعاملون مع رئيسهم مباشرة من غير أوامر الشيف أوفسر كابتن باسيلى.

قبل أن تبحر السفينة من المكسيك بيومين أو ثلاثة شاهد البحارة قبطان السفينة ليونيدس وكابتن باسيلى يخرجان سويا فى وقت متأخر من الليل وعادا مبكرا فى صباح اليوم التالى.

عرف تامر أن السفينة سوف تبحر بعد يومين من نيواورليانز إلى أمستردام الهولندية فقرر أن يرسل لأمه ما طلبته عند وصوله لها. العمل فى ميناء نيواورليانز كان على قدم وساق فى شحن السفينة بالغلال بواسطة الأنابيت الضخمة المتدلية من الصوامع العملاقة فى أحشاء السفينة. معظم البحارة لم يخرجوا هذه المرة لأن مكان

السفينة كان بعيدًا عن وسط المدينة، حيث الملاهى وغيرها. شعر تامر أنه لم يخسر شيئا بعدم حصوله على تصريح الخروج. وقد زار هذه الميناء من قبل وأنها مدينة قديمة وجميلة ومعظم سكانها يتكلمون الفرنسية والأسبانية بالإضافة إلى الإنجليزية بما أنها كانت مستعمرة أسبانية ثم فرنسية قبل أن يشتريها توماس جيفرسون ثالث رئيس أمريكى من نابليون بونابرت.

شعر تامر وبقية البحارة بارتياح لأن الفأر أصبح مشغولًا عنهم وأصبحوا يتلقون أوامرهم من رئيس البحارة مباشرة الذى كان رجلًا متوسط العمر هادئ الطباع محبوبًا من الجميع. لكن تامرًا صمم على ترك السفينة حسب الجدول التنازلى الذى أعده لنفسه وباقى الآن 270 يوم.

تامر لنفسه : إن شاء الله تمر هذه الأيام الباقية على خير، وأرجع بلدى ولأهلى بعد توفير مبلغ يمكننى من شراء تاكسى والعمل عليه بالإضافة إلى وظيفتى. ولن أترك بلدى بعد هذا ابداً.

بعد نصف يوم من إقلاع السفينة من نيواورليانز، وكانت ماتزال فى المياه الدولية بخليج المكسيك وقريبا من فلوريدا الأمريكية . توقفت محركات السفينة وشمل سكون تام يحيط السفينة وما حولها، وكان تامر فى وردية القيادة من الرابعة صباحا حتى الثامنة صباحا، وقد كان صباحًا ساطعًا جميلًا ذا رياح خفيفة منعشة. و فى حوالى السادسة صباحاً حضر القبطان ليونيدس إلى غرفة القيادة التى كان بها تامر وكابتن ميخالى الضابط الثالث بالسفينة.

قبطان ليونيدس : عليكم الذهاب الآن.

كابتن ميخالى : نأخذ راحة ونعود مرة أخرى ؟

كابتن ليونيدس : لا تعودا هذا الصباح بل عليكم العودة الرابعة بعد الظهر فى ميعاد ورديتكم كالمعتاد.

ترك تامر غرفة القياد مسروراً ليستمتع بساعتين راحة على حساب القبطان. لكن كابتن ميخالى بدت عليه علامات الحيرة، فحاول تامر أن يعرف سبب حيرته، لكنه لم يجد الإجابة. وفى طريقهما على الجانب الأيمن من السفينة إلى صالة البحارة خلف

السفينة شاهدا سفينة صغيرة من غير أعلام تدل على موطنها – فإن كل سفينة يجب أن تنشر علم الدولة التى تتبعها، وهذا هو القانون- السفينة الصغيرة تقترب من السفينة الكبيرة من الأمام. حاول تامر أن يرجع للأمام ويستفسر الأمر ويرى إذا كان القبطان يحتاج إلى مساعدة لكن كابتن ميخالى أمسك بتامر وقال له :

لقد أمرنا القبطان بمغادرة غرفة القيادة والذهاب لصالة البحارة، فليس لنا دخل فيما يفعل وعلينا الذهاب للخلف.

(27)

على سياج السفينة الأيمن، وبعيدا عن غرفة القيادة والعنبر الأول والثانى والثالث، وقف تامر وبقية البحارة ليشاهدوا ماذا يحدث من الأعمال المشبوهة فى سفينتهم. كابتن باسيلى يدلى سلم حبل للسفينة الصغيرة ليتسلق ثلاثة بحارة منها بسرعة مدهشة، وآداروا المحرك للرافعة الأمامية ورفعوا صندوقًا كبيرًا وآخر صغيرًا وخزنوه فى العنبر الأول طبعا مع الغلال الموجودة سابقا. وكان البحارة الغرباء يعملون بدون أى كلام وبسرعة كأنهم أنجزوا هذه المهمة مرات كثيرة من قبل. وبعد إغلاق العنبر الأول عاد البحارة الغرباء إلى سفينتهم الصغيرة، وتسلق شخص آخر إلى عابرة المحيطات ولم يغادرها. ابتعدت السفينة الصغيرة المجهولة الهوية وبقى الشخص الغامض فى المبنى الأمامى . دارت محركات السفينة العملاقة مرة أخرى واستمرت فى طريقها إلى هولندا.

فى مساء يوم الأحداث المبشوهة وبعد العشاء، تجمع البحارة ومعهم رئيسهم وكابتن ميخالى الضابط الثالث بالسفينة وتناقشوا فى الحمولة المشبوهة.

أحد البحارة : وقوف السفينة فى المياه الدولية والتقاط حمولة من سفينة مجهولة وراكب غامض غير قانونى، وسوف نحاسب جميعًا على هذا.

بحار آخر : القبطان هو المسؤول ونحن بحارة فقط.

مانولى : لقد عمل صديق لى فى سفينة تهريب سيارات وبضائع مسروقة من

إيطاليا إلى اليونان وتركيا والعكس وقد أمسك السفينة خفر سواحل اليونان، ووُضع الجميع في السجن القبطان والبحارة. فإذا كان القبطان ليونيدس يهرّب شيئًا وأعتقد أنه مخدرات فسوف نحاسب جميعا.

تامر يستمع إلى هذه المناقشة الخطيرة وضربات قلبه تتسارع من الخوف والاضطراب : خبر أسود مخدارات وسجن، هذه مصيبة ليست فى الحسبان، فإنى تحملت مشقة وخطورة العمل على هذه السفينة لكن السجن لن أتحمله، وسوف أقول لأهلى ماذا عن هذا السجن. هذا إذا خرجت منه سليماً .وتذكر فى الحال كلام محمد جلابية أنه لو بقى فى السفينة فسوف يقتل أو يسجن.

قرر البحارة أن يتولى كابتن ميخالى توصيل استفسارهم إلى القبطان. وفى الوقت نفسه، قرر تقريبا جميع البحارة ترك السفينة والعودة إلى اليونان عند وصولهم إلى هولندا.

مانولى : تامر عليك ترك السفينة أنت الآخر وتعال معى إلى اليونان، ونبحث سويا على سفينة أخرى للعمل عليها.

تامر : دعنى أفكر فى هذا.

ذهب تامر إلى قمرته تاركا البحارة يتناقشون فى الأحداث المريبة والخطيرة التى تحدث فى السفينة.

نظر تامر إلى الجدول التنازلى فباقى 265 يوماًعلى رحيله من هذه السفينة. لكنه مرعوب ويريد أن يترك السفينة فى أقرب فرصة مع الآخرين.

(28)

استلقى تامر على سريره بملابس العمل، فإنه مهموم وحزين لدرجة أنه لم يهتم بتغيير ملابسه. فكر تامر جيدا فى خطّته البسيطة وهى أنه يوفر ألفي جنيه استرلينى يعود بهما لبلده وأهله.

تامر يسأل نفسه حزيناً منفعلاً : ألفا جنيه ليسا بالكثير بعد كل هذا العمل والمخاطرة والتعامل مع محمد جلابية والفأر... انفجر تامر بالبكاء . فإنه شعر بالضعف والوحدة والغربة الأليمة وأن أحدًا لن يسمعه أو يفهمه أو يهتم به. نام تامر من الإرهاق والحزن. استيقظ تامر بعد ساعة أو ساعتين أخذ حمامًا ساخنًا وتوضأ وصلى ركعتين لله وسأل رب العالمين أن يزيل كربه ويسهل أموره. وبدأ يسترد جأشه ويفكر بدون انفعال وراجع حساباته فوجد أنه وفر 1200 جنية أسترلينى. فهذا مبلغ ليس بالقليل فى مصر. لكنه لا يكفى لشراء تاكسى.

فى الصباح التالى، وفى صالة طعام البحارة، وعلى لائحة التعليمات، وقف الجميع يقرأون تعليمات القبطان التى تقول :

من كابتن ليونيدس كرامانوس إلى طاقم بحارة وضباط السفينة بطلة الأطلنطى.

حسب قانون البحار المحلى لحكومة جمهورية اليونان الديمقراطية وحسب القانون الدولى للبحار فإن كابتن ليونيدس كرامانوس مسؤول عن السفينة وطاقمها مسئولية كاملة وغير مناقش فيها.

أى بحار أو ضابط لا يوافق على سير العمل فى هذه السفينة فعليه تقديم إقرار فى الحال بالرحيل فى أمستردام الهولندية.

توقيع : كابتن ليونيدس كرامانوس.

البحارة فى منتهى الغضب من هذا الخطاب التهديدى من القبطان ثم إنه لم يجب على الأسئلة بخصوص الشحنة المريبة والراكب الغامض.

فى نهاية اليوم وبعد انتهاء العمل والعشاء تقاطر البحارة على مكتب القبطان ومعهم إقراراتهم بالرحيل فى أمستردام وكان معهم تامر وبيده إقراره بالرحيل. تسلم القبطان الإقرار من تامر وقال له:

سوف تذهب إلى مصر وليس إلى اليونان. وافق تامر على هذا الشرط.

كابتن باسيلى الذى كان يقف بجانب القبطان ويشاهد البحارة الذين يقدمون إقراراتهم قال لتامر:

سوف نرقيك إلى رئيس بحارة إذا استمررت فى العمل، فأنت لك أكثر من سنة هنا وتعرف السفينة جيداً.

قال كابتن باسيلى هذا الكلام بصوت مرتفع وأمام البحارة الموجودين. فَهَمَ تامر مقصد الفأر وهو إثارة حفيظة البحارة الآخرين عليه. فقال تامر باقتضاب:

إننى أريد الرحيل إلى مصر .

(29)

مرت أيام وعابرة المحيطات تشق طريقها فى المحيط الأطلنطى فى اتجاه الشمال الشرقى من خليج المكسيك . ومازال البحارة يتناقشون فى سرية عن الشحنة المشبوهة والرجل الغامض الذى يقيم مع كابتن باسيلى ولا يخرج إلا نادراً من القمرة، وإلى الآن لم ير أحد وجههِ كاملا بسبب نظارته السوداء أو تكلم معه، لكن تامرًا رآه مرة كاملا وكان يتريض فى الصباح الباكر على سطح السفينة. وقد كان الفأر يأخذ له الطعام ليأكل وحده فى القمرة. واتفق الجميع أن يذهبوا لإدارة الشركة فى اليونان ويقدموا تقريرًا كتابيًا إلى المسئولين بالشركة وقد قال مهندس الكهرباء بالسفينة إنه سوف يقدم تقريرًا كتابيًا إلى شرطة بيرية مقر إدارة الشركة باليونان، هذا إذا لم يقبض عليهم جميعًا فى أمستردام . وكان كابتن ليونيدس ومعه كابتن باسيلى يعرفان كل هذا لكنهما لم يهتما أو تظاهرا بعدم الاهتمام.

منع كابتن باسيلى البحارة ورئيسهم من الاقتراب من العنبر الأول فى مقدمة السفينة والذى به الشحنة المشبوهة، فتأكد الجميع بخطورة الشحنة وعدم قانونيتها.

وتامر من كل هذا حائر وخائف وحزين أنه سوف يعود إلى مصر خاوى الوفاض، ولم ينفذ خطّته البسيطة وأمله المتواضع . لكنه قرر أن يجد عقد عمل فى ليبيا أو السعودية لأكمال بقية المبلغ الذى يريده. أصبح تامر لا يهتم بالجدول التنازلى فمزقه حنقا على السفينة والقبطان والفأر.

فى اليوم العاشر من إقلاع السفينة من ميناء نيواورليانز الأمريكية وتقريبا فى وسط المحيط الأطلنطى بين القارة الإفريقية والقارة الأمريكية، وباقى على ميناء أمستردام حوالى أربعة عشر يوما . قامت عاصفة صيفية شديدة عنيفة الرياح عالية الأمواج، وأصبحت عابرة المحيطات العملاقة بطلة الأطلنطى مثل الريشة تتقاذفها الأمواج وتحملها الرياح وترمى بها فى المياه بلا رحمة. لكن عابرة المحيطات العملاقة صامدة سائرة فى طريقها إلى أوروبا.

استمرت العاصفة ثلاثة أيام . معظم البحارة فى ذعر ويتهمون القبطان أنه سار فى طريق خطير وبالتأكيد أنهم فى مثلث برمودا أو قريبا منه، والمعروف عنه أنه مقبرة السفن، وهذا للحفاظ على سرية الحمولة المريبة التى فى أحشاء العنير الأمامى. وتوقف البحارة عن العمل على سطح السفينة لكن عمل الميكانيكيين فى غرفة المحركات على أشده. وعمل البحارة الوحيد كان هو قيادة السفينة تحت أوامر القبطان. بعض البحارة امتنعوا عن الأكل من الخوف والرعب والتزموا قمراتهم. كثير من البحارة أصبحوا يتقيئون أى طعام يأكلونه. وأصبح الجو العام فى السفينة هو الرعب والخوف والكل يعمل فى صمت كأنهم ينتظرون ساعة الموت غرقاً.

أما تامر فقد أسلم أمره إلى الله وقال إن الذى سوف يحدث للبحارة سوف يحدث لي، وكان بالرغم من ذلك ينام ملئ جفنيه رغم أن السفينة تميل لليمن والأمام ثم اليسار والخلف، وتامر رابط نفسه بحزام فى سريره المثبت فى أرض القمرة حتى لا يقع منه أثناء النوم، وأثناء العاصفة الرهيبة المخيفة.

وفى اليوم الرابع من العاصفة المشئومة وحوالى السادسة صباحا شعر تامر أن السفينة ارتفعت من الخلف ولم تعد لمستواها الذي كانت عليه في الأيام الماضية.

صراخ وهرج ومرج، صاح رئيس البحارة يأمرهم جميعا للاتجاه لمقدمة السفينة بأقصى سرعة.

(30)

شعر تامر أن السفينة على وشك الغرق فارتدى سترة النجاة البالية رغم سخونة الجو، وخرج مع بقية البحارة وكان معظمهم يرتدون سترات النجاة البالية أيضا والتى وعد كابتن ليونيدس أن يشترى لهم أخرى جديدة من أوروبا . تامر فى نفسه: هذا إذا وصلنا إليها. نظر تامر إلى مقدمة السفينة وكاد يغمى عليه، فإن مقدمة السفينة بما فيها العنبر الأول تحت سطح مياه المحيط بقليل ومؤخرة السفينة التى بها الرفاص العملاق الذى يسيّر السفينة مرتفع عن مياه المحيط بحوالى نصف متر . كما أن غطاء العنير الأول وهو عبارة عن ثلاثة أبواب حديدية ضخمة فُتح أثناء العاصفه الجبارة لأنه كان غير محكم الإقفال بمعرفة البحارة الغرباء، وتسربت مياه المحيط إليه وفقدت السفينة توازنها.

أخذ ثمانية بحارة كل منهم حبلًا وخطافًا حسب أوامر رئيس البحارة وطلب منهم أن يغطسوا فى المياه بمقدمة السفينة وتعليق الخطافات فى الباب الأول، وسوف يقوم بقية البحارة بسحب الباب يدوياً حتى يعمل المحرك ويتم غلق جميع أبواب العنبر. كان تامر ومانولى من هؤلاء الثمانية . وكان البحارة الشباب الأشداء الشجعان يقذفون هنا وهناك كأنهم نمور لإنقاذ سفينتهم.

خرج تامر من المياه وذهب ليسحب الحبال مع بقية البحارة لإغلاق العنير ووجد الفأر معهم يسحب الحبال .

واحد .. . اثنين ... ثلاثة.... اسحب.. وتحرك الباب مقدار شبر. لاحظ تامر أن مانولى ليس بينهم . فنظر إلى المقدمة فرأى شعر مانولى الطويل يطفو على الماء لكن بقية مانولى تحت الماء. عرف تامر أن شيئًا يمنع مانولى من أن يطفو فوق الماء. ربط تامر نفسه بطرف حبل والطرف الآخر بالسياج الحديدى لمنصة المحرك المعطل وذهب يتحسس طريقه فى المياه على سطح المركب قبل أن يغوص لإنقاذ مانولى. صاح كابتن باسيلى أو الفأر ولأول مرة يتكلم بالعربية مع تامر.

تامر انت رايح فين ؟ سيبك من مانولى....امه تخلّف غيره.... المهم السفينة وبقية البحارة.

لم يلتفت تامر إلى الفأر وأخذ نفساً عميقاً وغطس فى المياه واقترب من مانولى الذى أشار بيده إلى قدميه. ارتفع تامر فوق الماء واستنشق نفساً عميقاً وغطس فى المياه فوجد قدم مانولى محشورة فى مقدمة قضيب الباب الثانى .فك تامر بسرعة رباط حذاء مانولى. ارتفع مانولى بسرعة فوق الماء لكنه قد شرب مياها كثيرة وخارت قواه وكادت تسحبه الأمواج إلى المحيط. فتعلق به تامر واحتضنه وأشار للبحارة على منصة الرافعة فسحبوهما بالحبال.

(31)

ساعد تامر مانولى حتى بلغا المنصة التى بها بقية البحارة فافترش مانولى أرضها وهو يقترب من الموت، واستمرفى التقيؤ وقد أخرج كل ما فى أحشائه، وكانت الأمواج المتلاحقة تقوم بتنظيف المنصة أول بأول. استرد مانولى قواه سريعا ووقف مع بقية البحارة لسحب الحبال وقفل أبواب العنبر دون جدوى. والأمواج المتلاحقة تضرب أجسامهم دون رحمة كأنها سياط تلهب ظهورهم ووجوههم. وتامر وبقية البحارة متعلقون بسياج المنصة الحديدى حتى لا تأخذهم الأمواج العملاقة إلى المحيط. وفجأة أتت موجة عملاقة عاتية غمرت كل البحارة بمياهها وسمع البحارة صراخ اثنين

من زملائهم وقد سحبتهم الموجة الشريرة المسرعة إلى وسط المحيط وهما يصرخان و يستنجدان، لكنهما كانا بعيدين جداً عن السفينة المحتضرة. بقية البحارة استمروا فى عملهم لإنقاذ السفينة وبعضهم يبكون زملاءهم منتظرين دورهم.

أمر كابتن ليونيدس كبير مهندسي الميكانيكيا فى غرفة المحركات بتشغيل طلمبات المياه وملء العنابر الاحتياطية الخلفية بالمياه لكى يعود للسفينة اتزانها وهذه العنابر الاحتياطية تملأ بالمياه للمحافظة على الاتزان فى حالة واحدة فقط وهى فراغ السفينة من أى حمولة.

استعادت عابرة المحيطات العملاقة اتزانها لكنها كانت تحت مستوى مياه المحيط بقليل فإن حمولتها زادت على الأقل مرة ونصف بعد ملء العنابر الجانبية الاحتياطية بمياه المحيط، بالإضافة إلى العنير الأول الممتلئ بالماء . وبدأت المياه تتسرب بسرعة إلى غرفة المحركات فتوقف كل شئ عن العمل.

وفجأة اختفى الفأر من على المنصة وسمع البحارة طلقات نارية فى مكتبه.

صرخ كابتن ليونيدس فى البحارة أن ينقذوا أنفسهم بعد أن أرسل إشارة النجدة للسفن القريبة من الموقع.

جرى البحارة إلى مؤخرة السفينة حيث كان يوجد قاربان للنجاة سعة عشرين بحارًا لكل منهما. ولم يكن معهم تامر. أنزل البحارة القاربين فى مياه المحيط بسرعة مذهلة فإنها حياتهم التى تقترب إلى النهاية. لكن قاربًا منهما قُلب بمن عليه من البحارة واختفى ركابه من شباب البحارة فى المياه العميقة وقد تجمع عليهم سمك القرش وأصبح صراخهم من الألم والرعب يصل إلى عنان سماء الأطلنطى. وتجمع خمسة عشر بحارًا وميكانيكيًا فى قارب النجاة الثانى وبدأوا يجدفون بسرعة بعيدا عن السفينة حتى لا تأخذهم معها حين تغوص فى المحيط.

(32)

جرى البحارة نحو مؤخرة السفينة حيث قوارب النجاة، أما تامر ففضل استعمال قارب النجاة الصغير القريب منه ومن غرفة القيادة، فتسلق السلم وتبعه مانولى صامتاً. وجدوا كابتن ليونيدس يحتضن ضُمان عجلة القيادة محاولا تثبيته فى مكانه.

صاح تامر : كابتن يجب أن تحضر معنا فى القارب الصغير.

صاح الكابتن فى تامر ومانولى بلهجة آمرة : عليكم إنقاذ أنفسكم واستعمال القارب الصغير والأقرب إليكم وسريعا ليس أمامكم وقت، فسوف تغرق السفينة فى خلال نصف ساعة أو أقل . أخذ تامر نظارة معظّمه معه من غرفة القيادة و علقها فى رقبته. وبدأ يعد القارب هو ومانولى لإنزاله فى المياه.

تجمع الثنائى تامر ومانولى فى القارب الصغير المصَمم لستة أفراد . جدفا بسرعة بعيدا عن السفينة العملاقة قبل أن تغرق فى مياه المحيط وتسحبهما معها. نظر تامر إلى مانولى فرأى الرعب والموت كاملاً فقد كانت عيناه غائرتين تائهتين لا تستقران فى مكان، وجهه أصفر مثل الليمون، وشعره أشعث ملبد بمياه المحيط المالحة . شَعر تامر أنه ينظر إلى المرآة، فإنه حاله من حال مانولى، وبالتأكيد منظره هو منظر مانولى وربما أسوأ منه.

وفجأة قال مانولى مرهقا : لم أر كوستا من ليلة أمس فإنه يعمل فى الجزء السفلى من غرفة المحركات. هل تعتقد أنه نجا مع الناجين فى قارب النجاة الخلفى ؟

قال تامر بصوت خافت متردد اً : اعتقد هذا، فإنه يعرف طريقه جيداً فى السفينة .

أصوات مدوية كأنها قماش حريرى يتمزق .....تررررررررك .....تووك....تووووووك ...بومب... بومب.....وانقسمت عابرة المحيط العملاقة بطلة الأطلنطى إلى نصفين، وغرق النصف الأمامى أولاً ومعه كابتن ليونيدس والفأر المنتحر، أما النصف الخلفى فأخذ بضعة دقائق أخرى وقد شاهد تامر ومانولى وهما فى رعب بعض الميكانيكيين

المعروفين بملابسهم الزرقاء يقفذون فى مياه المحيط .وغرقت عابرة المحيط بطلة الاطلنطى فى أقل من ساعة. ربما الاسم بطلة الأطلنطى لكن مياه الاطلنطى كانت الأقوى وأمواجها لها الكلمة العليا. حزن تامر كثيراً على هذه السفنية التى كان يحبها وله فيها ذكريات جميلة وأخرى مُرة، وقد فقد كل شئ معها حتى آماله، وأوشك على البكاء لكنه تماسك فإن هدفه الآن هو إنقاذ حياته وعليه نسيان أي شيء آخر.

لكن مانولى اجهش بالبكاء ولم يتمكن تامر من أن يمنع نفسه من البكاء أيضاً. وبكى البحارة الناجون على الفقيدة بطلة الأطلنطى وأصدقائهم المفقودين.

شاهد تامر ومانولى القارب الآخر بعيدا عنهما بحوالى مسافة كيلو متر أو أكثر بقليل . فقررا أن يلحقا به جدف الاثنان بهمة ونشاط لكن المسافة كانت تزداد كلما اقتربا منه، فإن تيارات المياه تأخذهم فى طريقين مختلفين، فقررا أن لا يستنفذا قوتهما وأن يبقيا فى مكانهما إذا أمكن فى انتظار سفينة تلتقطهما من المياه على أساس أن هذا طريق عابرات المحيط وهو آخر موقع كانت به بطلة الأطلنطى، فمحتمل جداً أن تبحث عنهم أى سفينة التقطت إشارة الغوث من كابتن ليونيدس .

(33)

وفى منتصف هذا اليوم المشئوم هدأت العاصفة الجبارة وسكنت أمواج المحيط بعد أن ابتعلت عابرة المحيطات العملاقة وأكثرمن خمسة وعشرين بحاراً بما فيهم كابتن ليونيدس وكابتن باسيلى الذى انتحر بطلقات نارية فى مكتبه. وأصبحت مياه المحيط ساكنة وكأنها متخمة من هذه الوليمة الحديدية الدموية فقررت الهدوء التام.

وجد تامر فى قارب النجاة ستة زجاجات مياه كبيرة وستة أكياس طعام ومسدس به ستة طلقات إنذار ، وكان مانولى ينظر غير مكترث إلى تامر وهو يبحث فى القارب .

تامر لمانولى : سوف نقتسم هذه المؤنة سويا ويجب استعمالها بحرص وتأنٍّ حتى يتم إنقاذنا.

مانولى غير مكترث ولم يجب على اقتراح تامر ولكنه قال : إننى لا أعتقد أنه سوف يتم إنقاذنا فنحن فى وسط الأطلنطى خُمس الكرة الارضية، تصور أنك تبحث عن نملة فى مائة ألف فدان. وهمّ أن يقول شيئاً آخر لكنه صمت يائساً وقد ظهر عليه الإرهاق الشديد.

انتصف النهار وشمس مدار السرطان الحارقة- الذى كان تامر يتعقد انهم قريباً منه، - فى كبد السماء، وشعرَ تامر ومانولى بالحر الشديد، فخلعا سترات النجاة البالية وبدأ مانولي يغرف بيديه من مياه المحيط الباردة ويضعها على رأسه الملتهب. أما تامر فخلع قميصة وبلله بالمياه ووضعة على صدره مرة واخرى على ظهره الملتهب. وبنهاية النهار اختفى القارب الآخر عن نظرهما . وبدأ مانولى يهزى وينادى على طفلته «إيلانى» ذات العامين فقد أصيب بحمة شديدة من جراء شربه المياه المالحة فى الصباح وضربة شمس فى منتصف النهار وبرودة الجو فى الغروب. أما تامر فكان مشغول بالبحث بالنظارة المعظّمة على أى سفينة قريبة بدون جدوى.

بدأ قرص الشمس يلامس مياه المحيط الغربية، وقد اصفر لونه تارة وأحمر تارة اخرى. وفجأة وقف مانولى يمنع ضوء الشمس الباقى عن تامر وصرخ بوهن : أنا قادم إليك يا إيلانى ....وقبل ان ينتبه اليه تامر. قفز مانولى فى مياه المحيط التى لا قرار له واختفى.. وتامر مذهول وعقد لسانه ووقف تفكيره لحظات، وفجأة تنبه لما حدث فصرخ صرخة تسمعها أمريكا وأفريقيا وما حولهما .

مااااااااانوووووولى لى لى .... لكن مانولى اختفى فى مياه المحيط السوداء .

ارتمى تامر على أرض القارب وقد اجهش بالبكاء المرير لساعات، وشعر أن مصيره سوف يكون مصير مانولى والآخرين . نظر إلى السماء فهى حالكة السواد تتلاقى مع مياه المحيط السوداء، وكأن الاثنين حائط أسود كئيب مخيف ولا يرى قمرًا او نجومًا، وظن أنه مات غريقا، وأنه فى قاع المحيط الآن حيث لا يرى إلا الظلام الدامس، أنتبه تامر واستيقظ من موته المؤقت ليجد من يطرق جانب القارب الأيمن، ظن أنه مانولى

عاد إليه، فهو يجيد السباحة، ويحتاج المساعدة لتسلق القارب. دق قلب تامر بالفرح واعتدل فى جلسته وقام ليساعد مانولى، فوجد يداً بيضاء تمتد إليه، أمسك تامر بها ليرفع مانولى إلى القارب، لكنه صرخ صرخة مدوية سمعتها أوروبا هذه المرة .

(34)

إنه ليس مانولى، وإنما جسد شخص ميت يرتدى سترة نجاة . وبسرعة ترك تامر هذه اليد وهو مرعوب ثم عاد ليمسك بها مرة أخرى.وقد بدأ شعاع شمس الصباح ينير المحيط، قال تامر فى نفسه أنا محتاج هذه السترة فهي أفضل من سترتى البالية. وبعد أن تماسك تامر ومازال يمسك بيد جسد الميت، فرفعه إلى القارب وتعرف عليه.

تامر لنفسه : إنه الرجل الغامض الذى غرقنا وغرقت عابرة المحيطات بسببه. وبدأ تامر يحقق مع الرجل الغامض ويسأله:

من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ وماذا تعمل ؟ وإلى أين أنت ذاهب ؟ والرجل الغامض ينظر إلى تامر بعيون جاحظة مخيفة غامضة ولا يجاوب فهو ميت.

تامر بلهجة آمرة : عليك خلع سترة النجاة فأنا محتاج إليها، وخلع تامر سترة النجاة من على جسد الميت وفحصها فوجدها بحالة جيدة.

تامر بلهجة آمرة : أعطني هذه السترة التى ترتديها، فأنا أشعر بالبرد فى المساء والصباح الباكر. وخلع تامر سترة الرجل الغامض وكانت مبلله بالمياه، فتركها جانبا لتجف. واستمر تامر فى التحدث إلى الرجل الميت:

ليس لك حق الاعتراض على أى شئ أحصل عليه منك، فإن قانون البحار الدولى يقول إن أى أحد يجد شيئًا فى البحر فهو ملكه حتى لو كانت سترتك أو أى شئ معك، فأنت ميت وأنا من وجدك. قذف تامر بجسد الرجل الغامض فى المحيط وهو غاضب منه وقال : اذهب إلى قاع المحيط كما ذهبت بطلة الأطلنطى وبحارتها الشجعان.

سطعت الشمس على المحيط فأنارت الكون بضوئها وأشبعت المحيط بحرارتها، فشعر تامر بدفئها. وأخذ يبحث بالنظارة المعظمة عن أى سفينة أو أى شئ دون جدوى . لكنه اطمئن قليلا لرؤية بعض الغلال ونفايات العابرة الغارقه فهذا معناه أنه قريب من آخر موقع للفقيدة.

هبت رياح خفيفة لكنها باردة قليلا فارتدى تامر جاكيت الرجل الغامض، وكان الجاكيت دافئا بفعل حرارة شمس المحيط القوية. شعر تامر بدفء الجاكيت على جلده المرتعش، لكنه شعر بشئ بالجيوب الداخلية فأخرجها تامر ليتفحصها، فوجد كيسين من البلاستك المحكم جيداً . الأول به كارت فضى وثلاث جوازات بأسماء مختلفة لكنها لنفس الرجل الغامض .الأول أمريكى والثانى إنجليزى والثالث سويسرى. لم يهتم تامر بالأمر، فإن صاحب الجوازات الغامض فى قاع المحيط مهما كانت مهمته أو حقيقة شخصيته. وبدأ تامر يتحدث إلى نفسه فإنه فى وسط المحيط ولا أحد يسمعه حتى لو كان سمك المحيط.

ماذا أيضا معك ؟ وفتح تامر الكيس الثانى وقفله بسرعة وقد هبط قلبه فى ركبتيه وكأنه رأى الشيطان نفسه. وأخذت ضربات قلبه تسرع كأنه فى ميدان سباق جرى، أو أنه فى مسابقة سباحة وقلبه يدق بسرعة لا يستطيع أن يقللها. ومكث حوالى نصف ساعة لكى يسترد أنفاسه ويفتح الكيس مرة أخرى ويرى ما بداخله.

(35)

نظر تامر مرة أخرى إلى محتوى الكيس الثانى ونظر مرة ثالثة ورابعة وخامسة، وصرخ بأعلى صوت يستطيعه إنسان : أيوووووووه .....يا جدعاااااااااان. ده باكو دولارات..... أيوووووووه.....يا جدعاااااااااان. دول ... مائة الف دولار حا تعمل بيهم إيه يا تامر يا ابن أم تامر ؟ تامر يحدث نفسه : لازم آكل وأشرب وإذا خلصت الأكل والشرب فأشترى سمكًا من المحيط. تامر يمر بحالة هوس وقتية بمفعول المفاجأة والوحدة فى المحيط والخوف من الموت غرقاً. أكل تامر كيسين من أكياس الطعام المجفف، وشرب ثلاث زجاجا ت مياه. ووضع كيس الدولارات الذى يحتوى ألف ورقة فئة المائة دولار جيب الجاكيت الداخلى قرب قلبه، وكيس جوازات السفر الثلاث والكارت الفضى فى الجيب الايمن.

واستغرق فى النوم يحلم بماذا سوف يفعل بكل هذه الثروة التى وجدها فى المحيط. وكانت مياه المحيط هادئة منبسطة سعيدة بسعادة تامر.

بعد عدة ايام نفذت مياه الشرب ونفذ الطعام وشعر تامر بالندم والخوف، معه ثروة من الدولارات لكنها لا تساوى قطرة مياه واحدة للشرب. مر يومان أو ثلاثة وتامر يتطلع بنظارته على أى سفينة قريبة دون جدوى. وفكر فى أن يشرب من مياه المحيط، لكنه منع نفسه من هذه المياه المالحة لأنه لو شربها سوف يفقد عقله مثل مانولى. فتورمت شفتيه وتشققت واحترق جلد وجهه ويديه وقدميه، لكنه احتفظ بالجاكيت على جسده رغم حرارة الجو بالنهار.

كان الوقت ظهراً والطقس حاراً والشمس فى كبد السماء ساطعة محرقة. نظر تامر حوله بدون استعمال نظارته المعظمة فهو لا يستطيع حملها، إذ كان فى منتهى الضعف من قلة المياه والطعام فلم يجد شيئاً. نظر مرة أخيرة يودع فيها الدنيا إلى مياه المحيط التى لا نهاية لها وهى تتحد مع السماء فى كل الاتجهات حوله فصرخ بوهن وضعف يطلب من الله الرحمة والغفران والنجدة من أجل أمه وأخواته اللاتي

ينتظرنه. استرخى تامر فى قاع القارب وهو يقترب من الموت وأخذ يهذى، فرأى البحارة يتكالبون عليه لإلقائه فى المحيط ليعش معهم فى الأعماق . ثم سمع صوت محركات ترام محرم بك الذي كان يستقله للمدرسة، وسمع صوت صفارة الكمسرى ينبه السائق بالوقوف حتى يترجل التلاميذ من الترام. لكن صوت محركات الترام أصبح يعلو ويعلو حتى أصبح يدوى مثل محركات السفن.... محركات السفن العملاقة ؟؟؟ ... وانتبه تامر... وجلس فى القارب منهكاً ...نعم إنها عابرة محيطات إنجليزية وأبواقها تدوى لكى توقظ الغرقى الأموات والبحارة يصفرون ليعرفوا إذا كان أحد على قيد الحياة فى القارب الصغير.جلس تامر منهكاً فى القارب ولوح بيده ثم وقف وقد أتت إليه قوة غريبة لم يعهدها من قبل، إنها قوة الأموات بعد العودة للحياة، ولوح بيدية وصرخ بأعلى صوته الحقووووونننننى.

حاولت الممرضة الانجليزية أن تأخذ جاكيت تامر لترسله للتنظيف لكنه رفض بشدة . فقالت له الممرضة إنه سوف يخرج من المستشفى إلى المطار إلى القاهرة لأنه غير مسموح له بالمكوث فى إنجلترا. ولكنه طلب منها أن تبحث عن تليفون علاء البنّان، وقد كانت محاولة مشكوك فيها من تامر أن يعثر على صديق قديم يعيش فى لندن ويعمل فى حى سوهو المعروف بالملاهى الليلية.

تامر : السلام عليكم.

....: وعليكم السلام مين حضرتك ؟

تامر : تامر الاسكندرانى يا علاء.

علاء : عرفت تليفونى وصوتى يا ابن العفاريت.

تامر : هل فى إمكانك أن تحضر إلىّ فى مستشفى لندن الملكى وفى أقصى سرعة ومعك غيار من عندك، فإن مقاساتنا متساوية على ما أذكر ما عدا أن تكون تغيرت ولك أتعابك.

علاء : لدى عمل الليلة والصباح رباح.

تامر : اطلب إجازة وسوف أدفع لك الضعف.

علاء : ماذا فعلت يا تامر الموضوع غير مطمئن ؟

تامر : وهل تعرف عن تامر أنه يعمل أشياء غلط ؟

علاء : حاضر يا أبو اسكندر سوف أحضر لك فى خلال ساعة.

(36)

علاء يتحدث لتامر : لو ذهبت إلى القنصلية المصرية سوف يعطونك وثيقة سفر لمصر، وفى مصر سوف تُسجن حتى يبان لك صاحب، اعطينى خمسة آلاف دولار وصورتين وأحضر لك جواز سفر مصرى سليم مائة فى المائة ومن القنصلية.

طلب تامر من علاء أن يصطحبه لمزّور جوازات لينقل الجواز الأمريكى للرجل الغامض بأسمه وصورته. فطلب منه علاء خمسة ألاف دولار اخرى.

تامر يستفسر من علاء : كل شئ بخمسة ؟

علاء : هذا من أجل العيش والملح الذى أكلناه سوا فى اليونان. هذه أعمال خطيرة، وأنا لا اعرف هؤلاء الناس، وكل واحد يقول لى معلومة يأخذ ثمنها وسوف أحضرك لهذا الشخص واتركك فوراً وعليك العودة بنفسك لهذا الهوتيل .

دخل تامر إلى استديو تصوير وقال للمصور إنه من طرف جيريج مايسون الاسم الذى قال عليه علاء . فأخذه المصور إلى غرفة أخرى وقال له ماذا تريد ؟ فأبلغه تامر بما يريد. فطلب المصور سبعة الاف دولار والتسليم فى خلال أسبوعين. فطلب تامر أن يستلم الجواز فى خلال يومين . المصور طلب سبعة آلاف اخرى . سأله تامر على ماهية الكرت الفضى الذى معه فطلب هذا المصور المريب ستة آلاف دولار أخرى.

المصور : المجموع عشرين الف دولار نصف الآن ونصف عند الاستلام، ونظر المصور إلى الكرت وأخذه وتفحصه جيداً تحت المجهر فقال هذا ليس كارت وانما هو مفتاح لخزينة خاصة فى بنك سويسرا الدولى.

دخل البنك السويسرى الدولى شاب وسيم ذو ملامح شرقية وتظهر عليه مظاهر النعمة والثراء ممسك بحقيبة سامسونايت سوداء مثل رجال الأعمال. ودخل معه موظف البنك إلى مكان الخزائن الخاصة وأخرج الكرت الفضى وفعل مثله موظف البنك وفتح له الخزينة الخاصة بالكرتين معا وتركه يراجع خزينته وحده. نظر تامر إلى محتوى الخزينة ولم يصرخ كعادته فى الفترة الأخيرة ولكنه افترش الأرض فهو يشعر بالغثيان وهو وحده الذى يعرف ما به من الدهشة المميتة. فى هذه الخزينة مئات من رزم الدولارات والاسترلينى والين اليابانى وغيره من العملات الحرة. وقال تامر لنفسه ومن كل لون يا بتصتا – نسيج كان يستعمله الفقراء قديما- كما تقول أمه أحياناً. ففى هذه الخزينة ملايين من الدولارات وغيرها من العملات الأخرى . ولم يهتم تامر بحصرها فهذا سوف يستغرق أسابيع.

طلب تامر من موظف البنك أن يغير الخزينة بأخرى برقم جديد وتحت اسم 777، ففعل موظف البنك هذا بدون أى سؤال، وأخذ تامر من الموظف كارتًا ذهبيًا سميكًا بدلاً من الفضى بعد دفع مصاريف وأتعاب باهظة للبنك .

جلس تامر فى مقعد بالدرجة الأولى فى الطائرة المتجه إلى القاهرة وهو يبتسم من غير سبب.

المضيفة : هل تريد كونياك يا أفندم ؟

تامر : عصير برتقال من فضلك فأنا لا أشرب كحوليات وشكرا.

تامر يرتشف عصير البرتقال ويتذكر مانولى وكوستا فيعبس وجهه وتدمع عيناه، ثم يتذكر كالى ومارجريتا فيبتسم، ثم تذكر محمد جلابية والفأر فقهقه بالضحك فنظر إليه أحد الركاب باستغراب ؟؟؟

فتذكر تامر مقولة أمه : وليرزقن من لا حيلة له.... حتى يتعجب صاحب الحيل

تمت